إنجازات قادة النبي وأثرها في نجاح الدعوة الإسلامية

Achievements of the leaders of the Prophet and their impact on the success of the Islamic call

إعداد

عبد الله محمد عامر العجمي

جامعة المدينة العالمية – كلية العلوم الإسلامية

التخصص العام الدراسات الإسلامية – التخصص الدقيق الدعوة

Doi:10.33850/jasis.2021.142243

الاستلام : ٣/ ١٢/ ٢٠٢٠ القبول : ١٥ / ١٢ / ٢٠٢٠

المستخلص :

مما لاشك فيه أن بعثة النبي محمد صلى الله عليه وسلم كانت لإعلاء كلمة التوحيد، وإظهار الحق ودحض الباطل، والحرص على إتمام مكارم الأخلاق، وما كان لهذا الحق أن ينتشر إلا برجال صادقين اختارهم الله بعناية لصحبة نبيه، ولذلك حرص النبي صلى الله عليه وسلم أن يربي أصحابه تربية تعينه على هدفه الذي بُعث لأجله، من خلال إرشادهم، فكان منهم القادة العظام، الذين حملوا الأمانة، ونشروا دعوته من بعده، وصدقوا الله تعالى فيها فصدقهم الله، وجعلهم يسودون الدنيا بأثرها، فلمَّا حملوا لواء الدعوة بحقه؛ جعل الله لهم الفلاح والنجاح فيها، وحققوا النجاحات والإنجازات في كل المجالات؛ المجال الدعوى والمدني والعسكري، فسادوا الدنيا بأسرها في فترة وجيزة. وقد جاء هذا البحث ليغطي ذلك الجانب الذي يتناول إنجازات قادة النبي صلى الله عليه وسلم. وقد استخدمت المنهج الوصفي الذي يقوم على دراسة إنجازاتهم وأثرها البالغ في الدعوة إلى الله تعالى، وكذا المنهج التحليلي؛ لتحليل المادة التي تم جمعها. وقد توصلت في نهاية البحث إلى أن الأمة اليوم بحاجة إلى دراسة حياة الصحابة، والتأسي بهم، والنظر فيما فعلوه وحققوه من إنجازات على جميع الأصعدة.

الكلمات المفتاحية: إنجازات - قادة – نجاح – الدعوة - الإسلامية

Abstract:

There is no doubt that the mission of the Prophet Muhammadwas to elevate the word of monotheism, to show the truth, to refute falsehood, and to ensure the fulfillment of honorable morals, and this right would not have been spread except

by honest men whom God carefully chose for the company of his Prophet, and this is why the Prophetwas keen that he raises his companions an upbringing that helps him achieve his goal for which he was sent, through guiding them, among them were the great leaders who carried the trust and spread his dawah after him, Men who believed in God, as well as he believed in them, and made them prevail in the world with its effect so when they carried the banner of the dawah, God granted them successin itand they achieved successes and achievements in all fields, field of advocacy and civil and military sphere, prevailing the entire world in a short period. This research came to cover that aspect that deals with the achievements of the leaders of the Prophet and so I used the descriptive approach that is based on studying their achievements and its great impact on Al dawah to God the Almighty, as well as the analytical approach to analyze the collected material. At the end of the research, I concluded that the ummah today needs to study the life of the Companions and establish them out and consider the achievements they have done and achieved on all levels.

Keywords: Achievements - Leaders - Success - Da'wa - Islam

المقدمة:

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ؛ أرْسَلَه الله بشيرًا ونذيرًا وداعيًا إِلَىٰ الله بإذنه وسراجًا منيرًا، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك عليه وعَلَىٰ أصحابه وأزواجه وعَلَىٰ جميع آلِه ومن اهتدى بهداهم واتبع خطاهم واقتفى أثرهم وسلم تسليمًا كثيرًا، أَمَّا بَعْدُ:

فقد منَّ الله على أمة التوحيد بأن اصطفى لها من رسله خاتمهم وأفضلهم وهو محمد ﷺ، وهي أعظم منَّة لهذه الأمة، واصطفى له رجالًا، فهم خير الناس بعد الأنبياء والمرسلين، فصدقوا في صحبة النبي ﷺ وتصديقه، وجاهدوا في الله، فبلغوا المنزلة الكبيرة والعظيمة التي لم يصل إليها أحد قبلهم ولا بعدهم، فاصطفاهم الله لنبيه ﷺ لصحبته ونصرته، وتربوا على يديه، فعملوا بالدين، فكانت حياتهم كلها لله، وقد تعرَّضوا إلى محن قاسية، وتحملوا من الأعباء الكثير والكثير من أجل أن يمكِّن الله لهذا الدين، فخرجوا من جزيرة العرب وحملوا لواء الدين إلى الدنيا كلها، والأمة تدين لهم بالفضل

في تبليغ الدين، فقد جاهدوا في الله ولله، فحققوا من الإنجازات الكثير والكثير في شتى المجالات، سواء كان الجانب الدعوي أو المدني أو العسكري، أو معاملاتهم الدبلوماسية وعلاقاتهم بالدول الأخرى.

ومن هنا، فقد استخرت الله تعالى في تناول هذا الجانب لهم، لبيان عظيم فضلهم، ولبيان أثرهم المباشر في هذه المجالات، التي ولاشك أثرت في الدين والدنيا، فرضوان الله عليهم أجمعين، والله أسأل أن يكون عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

أولًا: مشكلة البحث:

إن مشكلة البحث الرئيسة أن هذا الموضوع يتناول الجوانب العظيمة في حياة الصحابة، وكيف وصلوا إلى ما وصلوا إليه من سيادة الدنيا، وعدم قدرة أي دولة أو أمة أخرى الوقوف أمامهم أو التصدي لهم، فهم المؤيدون من قبل الله ﷻ، ويأتي أهميته لكثرة من يشكك فيهم ويطعن فيهم ويسبهم، فلو أنَّ أحدنا أنفق مثل أحدٍ ذهبًا؛ ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه، فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، لَا تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا، مَا أَدْرَكَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلَا نَصِيفَهُ»[1]، فإنما يطعن الطاعنون في الصحابة ليس من أجل شخوصهم ولكن من أجل أنهم هم حملة الدين، فهم يريدون الطعن في الدين، فيطعنون أولًا فيمن نقل الدين وحمله، ليسهل بعد ذلك الطعن في الدين نفسه، ولكن هيهات هيهات.

ومن هنا تقع المسؤولية على الباحثين وطلبة العلم لدراسة هذه الجوانب في حياة الصحابة، ودورهم البارز في حمل الدين ومسؤولية نشر هذا الدين إلى الدنيا بأسرها، وإبراز دورهم وأثرهم في الجوانب المدنية والعسكرية، وكيف كانت علاقاتهم بالدول الأخرى، وبالتالي يعرف الناس فضلهم، فهم النجوم المتلألئة في سماء الدين، وهم الجبال الراسخة، فلم يشهد التاريخ رجالًا مثلهم، فقد نذروا حياتهم للدين وخدمته.

ثانيًا: أهداف البحث:

١- نيل شرف الدفاع عن صحابة النَّبِيّ ﷺ والذب عن عرضهم.

٢- بيان فضل هؤلاء الصحابة وإبراز دورهم الواضح الجلي في هٰذِه الجوانب.

٣- إلقاء الضوء على مناقبهم وكيف أنهم حملوا لواء الدين، وكيف أنهم نشروا الدين في ربوع الأرض.

٤- بيان الجوانب الاقتصادية والمدنية والعسكرية، والعلاقات الدبلوماسية والخارجية.

([1]) أخرجه مسلم في الصحيح، كتاب فضائل الصحابة رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ عَنْهُمْ، باب تحريم سب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ٤/ ١٩٦٧، رقم: ٢٥٤٠.

المبحث الأول

الإنجازات في المجال الديني والدعوي

ورث الصحابة الكرام –رضي الله تعالى عنهم– الدعوة الإسلامية عن رسول الله ﷺ في حياته، فكان لابد لهم من القيام بهذا الدور، بإشرافه ﷺ وتوجيهه وإرشاده، فقاموا بذلك على الوجه المحمود، فأفرز إشرافه ﷺ إيجابية محمودة، ومكاسب جليلة، ونتائج مرجوة.

ويمكن أن نتلمس ذلك بوضوح في سيرة النبي ﷺ في منهج انتقائه من بين الصحابة لأدوار قيادية، وتربوية معاً، فهو ﷺ قد رباهم على الإخلاص وعلمهم دينهم بداية، فكان الرجل منهم لا يألو أن يدعو إلى الإسلام ما استطاع، ثم كان ينتقي أشخاصاً بعينهم مثل اختياره مصعب بن عمير وإرساله إلى المدينة، واختياره معاذ بن جبل وإرساله إلى اليمن، وغيرهما، ونعرف أثر كل منهم في المكان الذي أرسل إليه، ونعرف أيضاً أن الدور التربوي ظل ألصق الأدوار بهما.

أولاً: مصعبُ بنُ عُميرٍ - رضي الله عنه - أُرسِلَ إلى المدينةِ مُعلِّماً وحيداً، وكانَ أثرهُ فريداً، حيثُ عادَ إلى مكةَ قبلَ انقضاءِ العامِ، وقد هدَى كثيراً إلى الإسلامِ، وصاروا يردِّدونَ آياتِ القرآنِ، الرجالُ والنساءُ والفتيانُ، فلم يبق بيت من بيوت الأنصار إلا وفيها رجال ونساء مسلمون. حتى أن قبيلة من أكبر قبائل يثرب وهي قبيلة بني عبد الأشهل، قد أسلمت جميعها على يده بقيادة رئيسها سعد بن معاذ.

فبعد أن أسلم أسيد بن حضير، وذهب إلى سعد، ونظر إليه سعد بن معاذ، وهو يقول لقومه: أحلف بالله أن أسيد بن حضير قد جاءكم بغير الوجه الذي ذهب به من عندكم، ماذا فعلت يا أسيد؟ قال: نهيتهما وزجرتهما، ولم أر بهما بأساً، وأجاباني إلى كل ما أريد، وقالا لي: إن رأيت شيئاً تكرهه عزلنا عنك ما تكرهه، ولكني سمعت أن بني حارثة قد خرجوا إلى أسعد بن زرارة ليقتلوه، وقد علموا أنه ابن خالتك ليخفروك -أي: لينقضوا عهدك- فغضب سعد بن معاذ وقام غاضباً لما سمع من خبر بني حارثة، وأخذ الحربة من أسيد بن حضير، وقال: ما أراك فعلت شيئاً، وانطلق سعد بن معاذ غاضباً إلى مصعب بن عمير وصاحبه رضي الله عنه وأرضاه، فوقف عليهما متشتماً، وقال لـ أسعد بن زرارة وهو ابن خالته: يا أبا أمامة! والله لولا ما بيني وبينك من قرابة ما رمت هذا مني، فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع مني فإن رأيت خيراً قبلته، وإن رأيت ما تكره عزلنا عنك ما تكره.

قال: والله لقد أنصفت، وركز الحربة وجلس بين يدي الداعية الكبير العظيم الحليم الصبور رضي الله عنه وأرضاه، فيعرض عليه مصعب الإسلام، ويقرأ مصعب عليه القرآن، وكانت فطرهم سليمة نقية تقية سرعان ما تتفتح إلى الحق كتفتح الزهرة لحبات الندى التي تتنزل عليها في يوم شديد الظمأ شديد الحرارة، فنظر سعد بن معاذ

إلى الداعية الكبير وقال: والله ما أحسن هذا الكلام وأجمله، فما تصنعون إذا أدرتم أن تدخلوا في هذا الدين؟.

فقال له: تغتسل وتطهر ثوبيك، وتشهد شهادة الحق، وتصلي ركعتين، فقام سعد بن معاذ فاغتسل وطهر ثيابه، وشهد شهادة الحق بين يدي مصعب، وصلى لله ركعتين، ومن هنا بدأ يتحرك لدين الله على الفور، فلا وقت للراحة والسكون والهدوء، ولا مكان للمكاتب المكيفة والفراش الوثير.

وينطلق سعد بن معاذ إلى قومه إلى بني عبد الأشهل فيقول: " يا قوم! ما تعلمون رأيي فيكم؟ " فقالوا: أنت سيدنا، وأيمننا نقيبة، وأفضلنا رأياً، فيقول سعد بن معاذ: فإن كلام رجالكم ونسائكم علي حرام حتى تؤمنوا بالله ورسوله، فلم تمر الليلة على دار بني عبد الأشهل إلا وقد أسلم كل رجل وامرأة، وشهد الجميع أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله(٢).

وما كانَ هذا الفتى الشابُّ، والمعلِّمُ الذي هجرَ الأهلَ والأحبابَ، أنْ يُحدِثَ هذا التَحوُّلَ العجيبَ، بمجرَّدِ ترديدِ الآياتِ وتخزينِ المعلوماتِ، بَلْ بالقُدوةِ الصالحةِ، ومخاطبةِ القلوبِ، وتهذيبِ السلوكِ، وتقويمِ الأخلاقِ، في أقلَّ مِنْ سنَةٍ حقَّقَ مُصْعبٌ ﷺ المرادَ، وهدَى اللهُ به كثيراً مِنَ العبادِ. وبذلك نجح سفير الإسلام الأول في المدينة المنورة نجاحاً منقطع النظير.

ونستطيع مما سبق أن نستنتج الآتي:

١- الانتشار السريع للدعوة الإسلامية، دليل على صحتها، وصدقها، وربَّانيتها، وأنها من لدن حكيم خبير.

٢- السيرة النبوية مليئَّة بالكثير من الشواهد، والمواقف، والأخبار التي تؤكد أن سياسة الاختيار متى ما كانت سليمة، كانت العاقبة أفضل، والنتائج أحسن، ولذلك لما وقع اختيار رسول الله على مصعب للقيام بهذه المهمة قام بواجبه على خير وجه، وبلغ من التوفيق والنجاح أن أهل المدينة يكادون يكونون قد أسلموا جميعا على يديه.

اختار الرسول من أصحابه مُصعب ليكون مبعوثاً للمدينة بالرغم من وجود من هو أكبر منه سناً وأكثر جاهاً وأقرب من الرسول قرابة.. ولكن الرسول اختار مُصعب وهو يعلم أنه يكل إليه بأخطر قضايا الساعة ويلقي بين يديه مصير الإسلام في المدينة. حمل مُصعب الأمانة مستعيناً بما أنعم الله عليه من عقل راجح وخُلُقٍ كريم.. ولقد غزا أفئدة أهل المدينة بزهده وترفعه وإخلاصه، فدخلوا في الدين أفواجاً.

---

(٢) السهيلي: عبد الرحمن السهيلي، **الروض الأنف**ط١ (٢/ ٢٥٨)، الصنعاني، **سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد**، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد محمد بن يوسف الصالحي الشامي دط (٢/ ١٩٩)، - ابن سيد الناس، **عيون الاثر**ط١ (١/ ٢١٢).

وهكذا تفاعلت الدعوة مع مجتمع يثرب تفاعلا قوياً وتهيأت يثرب لتكون نقطة ارتكاز للدعوة تمهيداً لانطلاقها إلى شبه الجزيرة ثم العالم. كل ذلك بحسن اختيار مصعب لهذه المهمة، وإذا كان وجود الدعاة في أي مجتمع بهذه الضرورة، وبهذه الأهمية، فأنه يجب علي ولاة الأمور في كل قطر إسلامي أن يعملوا علي تكوين أجيال من الدعاة ليكونوا طليعة لصلاح الأمة بكاملها وأن لا يفرطوا ولا يقصروا في هذا الأمر حتى لا تفسد المجتمعات ولكي لا تضيع الأمة بأسرها.

يقول الشيخ الغزالي: " إن تكوين الدعاة يعني تكوين الأمة وأثر الرجل العبقري فيمن حوله كأثر المطر في الأرض الموات، وأثر الشعاع في المكان المتألق، والأمم العظيمة ليست إلا صناعة حسنة لنفر من الرجال الموفقين، إن الشيوعية الكذوب تماري في هذه الحقيقة، وتزعم أن الأفراد مهما عظموا لا وزن لهم، وأن الفضل كله للجماهير، وليت شعري ما يصنع الرعاع وحدهم في هذه الدنيا؟

أنهم يظلون في أماكنهم حيارى حتى يجيء القائد الممتاز فيوجههم هنا وهناك، ومن هنا أرى أن سبيل النهضة الناجحة لا يتمهد إلا إذا استطعنا بناء جماعات من الدعاة ينطلقون في أقطار العالم الإسلامي ليرأبوا صدعه، ويجمعوا شمله، ويمسكوه ويبصره لغايته، ويتعهدوا مسيره، ويقوموا عوجه، ويذودوا، عنه قيد الخصوم ومكر الأعداء وعبث الجهال، فيكونون بمثابة طلائع النور" (٣).

ويقول محمد أحمد الراشد: "وشأن الداعية أن يترصد أخبار الرجال في المجتمع فيحتك بهم ويتعرف عليهم ويزورهم ويعلمهم طريق ضم الجهود الإسلامية وتنسيقها، ولا يكون داعية اليوم إلا من يفتش عن الناس ويبحث عنهم ويسأل عن أخبارهم ويرحل للقائهم ويزورهم في مجالسهم ومنتدياتهم ومن أنتظر مجيء الناس إليه في مسجده أو بيته فإن الأيام تبقيه وحده ويتعلم فن التثاؤب" (٤).

والداعية في هذا المجال يتفانى في قيامه بواجبه نحو دعوته ولو علي حساب نفسه ويقيس نجاحه بمدى ما يكتسبه من أعضاء ينضمون لقافلة الدعوة في كل يوم، وإلا صار كمن يحرث في الماء أو ينفخ في الهواء.

ويقول أ / فتحي يكن " إن الداعية بالحق والذي يعيش لسواه لا لنفسه ويكون ديدنه الدوران حول مجتمعه وحول المسلمين وليس حول ذاتهم وهو الذي يعمل علي توفير الراحة للآخرين ولو علي حساب راحته، فإذا قامت هذه الوشائج بين الداعية وبين الناس تحقق الوصال والاتصال، وتحقق التأثير والتأثر، ونجحت المهمة، وآتت الدعوة أكلها بإذن ربها، وإن كان غير ذلك لم تكن دعوة ولا داعية " (٥).

---

(٣) الغزالي، **مع الله دارسات في الدعوى والدعاة**، ط ٤(دج/ ٧، ٩).
(٤) الراشد، **المنطلق**، ط٣(دج/ ١٢٦، ١٢٧).
(٥) يكن، **الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية**، ط٦(دج/ ٦٤).

٣- مصعب بن عمير يتعرض لكثير من المواقف الحرجة، وهو يتنقل بين البيوت، والمجالس، والقبائل، ولولا دعوته الناس بالحكمة والموعظة الحسنة، لَهلكَ على يد المخالفين، المناهضين للدعوة الجديدة التي جاء بها.

فهذا أسيد بن حضير يأخذ حربته وينطلق إلى مصعب بن عمير و أسعد بن زرارة اللذين ذهبا إلى حائط في دار بني ظفر في رحلة إلى دار بني عبد الأشهل ودار بني ظفر، وها هو مصعب الخير و أسعد بن زرارة يجلسان مع مجموعة ممن أسلموا لله جل وعلا في ذلك الحائط، ويأتي أسيد ويركز حربته ويقف عليهما متشتماً قائلاً: ما الذي جاء بكما إلى ديارنا لتسفها ضعفاءنا؟! اخرجا إن كانت لكما بأنفسكما حاجة! وينظر مصعب نظرة مبتسمة نظرة مشفقة حانية إلى سيد القوم ويقول له: أو تجلس فتسمع مني، فإن كان خيراً قبلته، وإن كان فيه شيئاً تكرهه عزلنا عنك ما تكره، فقال أسيد: والله لقد أنصفت... (٦).

وهذا سعد بن معاذ غضب لما سمع من خبر بني حارثة، وأخذ الحربة من أسيد بن حضير، وقال: ما أراك فعلت شيئاً، وانطلق سعد بن معاذ غاضباً إلى مصعب بن عمير وصاحبه رضي الله عنه وأرضاه، فوقف عليهما متشتماً، وقال لأسعد بن زرارة وهو ابن خالته: يا أبا أمامة! والله لولا ما بيني وبينك من قرابة ما رمت هذا مني، فقال له مصعب: أو تجلس فتسمع مني فإن رأيت خيراً قبلته، وإن رأيت ما تكره عزلنا عنك ما تكره.

قال: والله لقد أنصفت، وركز الحربة وجلس... (٧).

٤- أن المشاركة الاجتماعية في المجتمع تجعل الداعية يستغل كافة طاقاته وإمكاناته لخدمة دعوته، أما في حالة العزلة والانطواء فإنه بذلك يعطل كثيراً من الإمكانات والطاقات، مما يهيئ الفرصة لفوات الكثير من المنافع التي تعود بالأصالة علي المجتمع كله ومن وراء الإنسانية بأكملها.

يقول أ / البهي الخولي: " لا يصح للداعية أن يطاوع نفسه في العزلة – مهما تزين له المقاصد والأسباب – فصومعة الداعية ميدان دعوته، ومحرابه الذي يستنزل فيه من الله الهدي والمعونة هو العمل لخير الناس، وأن الله يتجلي علي العاملين في

---

(٦) المباركفوري، **الرحيق المختوم**ط (دج/ ١١٣)، الصلابي: علي محمد الصلابي: **السيرة النبوية** عرض وقائع وتحليل أحداث ط (١/ ٣٦٣)، **حياة الصحابة للكاندهلوى** ط(١/ ١٩٩).

(٧) المباركفوري، **الرحيق المختوم**ط(ص ١١٣)، **السيرة النبوية** عرض وقائع وتحليل أحداث ط (١/ ٣٦٣)، الكاندهلوى **حياة الصحابة** ط (١/ ١٩٩).

ميادينهم بأفضل مما يتجلي علي العابدين في محاربهم، وما أبعد الفرق بين من ينهض إلي الله يوم القيامة ومعه أمة ومن ينهض إليه وليس معه أحد " (٨).

ثانياً: أرسل ﷺ كلا من معاذ بن جبل، أبي موسى الأشعري إلى اليمن، وقد كان لهما جهود عظيمة مباركة في خدمة الدعوة الإسلامية ونشرها، فقد بعثهما النبيّ ﷺقبل حجّة الوداع إلى اليمن، كلّ منهما أمير على مخلاف، واليمن مخلافان، أي: إقليمان في الحديث: عَنْ أَبِي بُرْدَةَ، قَالَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا مُوسَى، وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى اليَمَنِ، قَالَ: وَبَعَثَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى مِخْلاَفٍ، قَالَ: وَاليَمَنُ مِخْلاَفَانِ، ثُمَّ قَالَ: «يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا»، فَانْطَلَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى عَمَلِهِ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِذَا سَارَ فِي أَرْضِهِ كَانَ قَرِيبًا مِنْ صَاحِبِهِ أَحْدَثَ بِهِ عَهْدًا، فَسَلَّمَ عَلَيْهِ، فَسَارَ مُعَاذٌ فِي أَرْضِهِ قَرِيبًا مِنْ صَاحِبِهِ أَبِي مُوسَى، فَجَاءَ يَسِيرُ عَلَى بَغْلَتِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِ، وَإِذَا هُوَ جَالِسٌ، وَقَدِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ وَإِذَا رَجُلٌ عِنْدَهُ قَدْ جُمِعَتْ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ أَيُّمَ هَذَا؟ قَالَ: هَذَا رَجُلٌ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلاَمِهِ، قَالَ: لاَ أَنْزِلُ حَتَّى يُقْتَلَ، قَالَ: إِنَّمَا جِيءَ بِهِ لِذَلِكَ فَانْزِلْ، قَالَ: مَا أَنْزِلُ حَتَّى يُقْتَلَ، فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ (٩).

وفي هذا الحديث تصريح بإرسال النبيّ ﷺ لأبي موسى ومعاذ كلّ منهما على ناحية من اليمن، وفيه إشارة إلى أنهما كانا يقضيان أيضاً بين النّاس، وذلك في حكمهما بقتل الرجل الذي ارتد عن الإسلام فقتل.

وكان من مهامهما القيام بالدّعوة إلى الله، ونشر الإسلام، قال ﷺ لمعاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثه إلى اليمن: "إنك ستأتي قوماً من أهل الكتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله، وأن محمّداً رسول اله، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله فرض عليهم خمس صلوات في كلّ يوم وليلة، فإن هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم، فإن أطاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم، واتق دعوة المظلوم، فإنه ليس بينها وبين الله حجاب"(١٠).

ومما يستنبط من ذلك:

(١) رسم الخطة للدعاة، لما للداعية من أهمية في تبليغ الإسلام، ولحاجة الدعوة إلى دعاة أكفاء قادرين على القيام بالواجب المنوط بهم.

---

(٨) الخولي، **تذكرة الدعاة**، ط٨(دج/ ٢١٣)

(٩) أخرجه البخاري في **الصحيح**، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى ومعاذ بن جبل ﷺ إلى اليمن قبل حجة الوداع، ١٥٨/٢، رقم: ٤٣٤١.

(١٠) أخرجه البخاري في **الصحيح**، كتاب الزكاة، بَابُ أَخْذِ الصَّدَقَةِ مِنَ الأَغْنِيَاءِ وَتُرَدَّ فِي الفُقَرَاءِ حَيْثُ كَانُوا، ١٢٨/٢، رقم: ١٤٩٦.

(٢) تنبيه الداعي إلى أحوال المدعوين للاستعداد لهم وأخذ الحيطة قبل لقائهم، ولذا كان العلم بها من أساسيات علم الداعية لأن فاقد الشيء لا يعطيه. حيث يتنوع المدعوون تنوعاً واضحاً بسبب ما بينهم من اختلاف، ومخاطبة كل نوع يحتاج لطريقة معينة- لأن ما يؤثر في جماعة لا يؤثر في غيرها. ولذا وجب على الداعية أن يعلم خصائص من سيدعوهم من ناحية العادات والتقاليد والمذاهب والاتجاهات السائدة فيهم.

وكذلك علينا أن نعلم جيداً أن القائد يحتاج دائماً إلى تقويم للعملية القيادية التي يمارسها بحيث يستقيم الأداء المنوط به ويخرج النتاج كما يأمل ويرتجي، وفي العمل الإسلامي يحتاج القائد دائما إلى النصح والإرشاد والتزويد بوجهات النظر المتجددة، وقد أشار القرآن إلى ذلك إشارة بينة بقوله تعالى (فاعف عنهم واستغفر لهم وشاورهم في الأمر) [١١]، فالقرآن يُعلم أن هنا جانب هام لا ينبغي أن يغفل القائد عنه؛ وهو كسب ثقة العاملين معك ومشاورتهم وتقبل نصحهم ثم أخذ القرار بناء على ذلك وعدم التردد فيه، وأنه يبدأ في الدعوة بالأهم فالأهم، ويتحين الفرص والوقت المناسب وإيجاد المكان المناسب لدعوتهم، فقد يكون من المناسب أن يدعوه إلى بيته ويتكلم معه، وقد يكون من المناسب أن يذهب هو إلى بيت الرجل ليدعوه، ثم يكون من المناسب أن يدعوه في وقت دون وقت، فعلى كل حال المسلم العاقل البصير يعرف كيف يتصرف في دعوة الناس إلى الحق، قال الإمام ابن حجر -رحمه الله-: (وأما قول الخطابي إن ذكر الصدقة أُخر عن ذكر الصلاة لأنها إنما تجب على قوم دون قوم. وأنها لا تكرر الصلاة فهو حسن، وتمامه أن يقال بدأ بالأهم فالأهم، وذلك من التلطف في الخطاب، لأنه لو طالبهم بالجميع في أول مرة لم يأمن النفرة) [١٢].

ومما يوجبه العلم في مقام الدعوة والتعليم: أن يأخذ الداعية والمعلم الناس بالتيسير لا التعسير، وبالتبشير لا التنفير. كما في الحديث المتفق عليه: "يسروا ولا تعسروا، وبشروا ولا تنفروا".

قال الحافظ في شرح الحديث: المراد تأليف من قرب إسلامه، وترك التشديد عليه في الابتداء، وكذلك الزجر عن المعاصي، ينبغي أن يكون بالتدريج، لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلا، حبب إلى من يدخل فيه، وتلقاه بانبساط، وكانت عاقبته غالبا الازدياد، بخلاف ضده. [١٣].

وليس التيسير مقصورا على قريب العهد بالإسلام، كما قد يفهم من كلام الحافظ، بل هو أمر عام ودائم، ولكنه ألزم ما يكون لحديث العهد بالإسلام أو بالتوبة، أو بكل من يحتاج إلى التخفيف من مريض أو كبير سن أو ذي حاجة.

---

(١) آل عمران ١٥٩.
(١٢) ابن حجر: **فتح الباري**ط١(٣ / ٣٥٩)
(١٣)ابن حجر: **فتح الباري** ط١(١/ ١٦٣)

ثالثاً: ضِمَاد ألأَزْدِي رضي الله عنه:

قدم ضِمَاد ألأَزْدِي – من أَزْدِ شَنُوءَة – مكة، وأشاع أهلها أن محمداً ﷺ مجنون، وكان ضماد يرقي من الجنون، فقال: لو أني رأيت هذا الرجل لعل الله يشفيه على يدي... فجلس إلى النبي ﷺ فدعاه النبي ﷺ إلى الإسلام، فقال: هات يدك أبايعك على الإسلام. قال: فبايعه، فقال رسول الله ﷺ: "وَعَلَى قَوْمِكَ". قال: وعلى قومي... [١٤] الحديث، "فقد حرّض النبي ﷺ في الحديث على انتشار الدعوة، حيث رأى في ضماد صدق إيمانه، وحماسته للإسلام، وقوة قناعته به، فدفعه ذلك إلى أخذ البيعة منه لقومه"[١٥].

رابعاً: أبو ذرّ الغفاري جندب بن جنادة رضي الله عنه:

لما أراد الله تعالى بأبي ذر الغفاري خيراً يسّر له الإسلام، فتبع علياً حتى دخل على النبي ﷺ ودخل معه، فسمع من قوله وأسلم مكانه، فقال له النبي ﷺ: "ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَأَخْبِرْهُمْ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِي". قال: والذي نفسي بيده، لأصرخن بها بين ظهرانيهم، فخرج حتى أتى المسجد، فنادى بأعلى صوته: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله...[١٦] الحديث.

"لقد كان موقف أبي ذر في قمة التحدي لكفار قريش، وكان مفيداً للدعوة، فساهم في مقاومة الحرب النفسية التي شنّتها قريش ضد الرسول ﷺ، وكانت ضربة معنوية أصابت كفار مكة في الصميم؛ بسبب شجاعة أبي ذرٍّ ورجولته، وقدرته على التحمل"[١٧].

ولقد امتثل أبو ذرٍّ أمر رسول الله ﷺفي مغادرة مكة إلى قومه، واهتم بصلاح الأهل وهدايتهم ودعوتهم للإسلام، فبدأ بأخيه وأمه وقومه، فعن عبادة بن الصامت أن النبي ﷺ قال لأبي ذر: "إِنَّهُ قَدْ وُجِّهَتْ لِيَ أَرْضٌ ذَاتُ نَخْلٍ، لاَ أُرَاهَا إِلاَّ يَثْرِبَ، فَهَلْ أَنْتَ مُبَلِّغٌ عَنِّي قَوْمَكَ؟ عَسَى اللهُ أَنْ يَنْفَعَهُمْ بِكَ وَيَأْجُرَكَ فِيهِمْ"، فأتيت أُنَيْساً، فقال: ما صنعت؟ قلت: صنعت أني قد أسلمت وصدّقت. قال: ما بي رغبة عن دينك، فإني قد أسلمت وصدّقت، فأتينا أُمَّنا، فقالت: ما بي رغبة عن دينكما، فإني قد أسلمت وصدّقت، فاحتملنا حتى أتينا قومنا غفاراً، فأسلم نصفهم، وكان يؤمُّهم أَيْمَاءُ بن رَحَضَة الغفاري وكان سيدَهم، وقال نصفهم: إذا قدم رسول الله ﷺ المدينة أسلمنا، فقدم رسول الله ﷺ،

---

(١٤) أخرجه مسلم في **الصحيح**، كتاب الجمعة، باب تخفيف الصلاة والخطبة، ٥٩٣/٢، رقم: ٨٦٨.

(١٥) الصلابي: **السيرة النبوية** دط(٢٤٣/١).

(١٦) أخرجه البخاري في **الصحيح**، كتاب المناقب، باب قصة إسلام أبي ذر الغفاري، ٤٧/٥، رقم: ٣٨٦٥.

(١٧) الصلابي **السيرة النبوية** دط(٢٥٠/١).

فأسلم نصفهم الباقي، وجاءت أسلم، فقالوا: يا رسول الله، إخوتنا، نسلم على الذي أسلموا عليه، فأسلموا، فقال رسول الله ﷺ: "غِفَارٌ غَفَرَ اللهُ لَهَا، وَأَسْلَمُ سَالَمَهَا اللهُ"(١٨).

المبحث الثاني

إنجازات قادة النبي ﷺ المدنية

ما سجَّله التاريخ من عمل الخير في عهد الصحابة، وخاصة في زمن النبي ﷺ ليعد مدرسة يتعلَّم منها المسلمون اللاحقون مما صنعه أسلافهم السابقون، ويتعلَّم منها غير المسلمين ما قدَّمه المسلمون في عصورهم من أعمال البرّ، وأفعال الخير، والمواقف الإنسانية التي تشهد بأن الإنسان جدير بخلافة الله في الأرض. ومن هذه الانجازات المدنية التي قام بها قادة النبي ﷺ ما يلى:

١- بناء المساجد:

وخاصة في البلاد التي يقومون بفتحها، حيث كان أول شيء يقوم به الفاتحون المسلمون بعد إتمام الفتح العسكري لأي بلد هو إنشاء المسجد الجامع؛ لأن قيام هذا المسجد معناه امتداد الجماعة الإسلامية إلى ذلك البلد ودخوله في نطاق دولة الإسلام وكان من القوانين الأساسية التي سار عليها بناة دولة الإسلام الكبرى أنه لا يمكن التخلي عن قطر يقوم في عاصمته مسجد جامع فإذا لم ينشئ المسلمون مسجدًا جامعاً في قلب قطر من الأقطار لم يكن عليهم بأس بالارتداد عنه إذا اضطرتهم ضرورات عسكرية أو سياسة إلى ذلك (١٩).

فللمسجد دور إيجابي وأهداف سامية تخدم المجتمع الإسلامي ككل، فبجانب أداء الصلوات الخمس هو موطن تلاوة وتدبر ومعهد علم وتهذيب، ومجلس صلح وقضاء، وملتقي تعاون وتكامل ومكان رأي ومشورة.

فللمسجد في المجتمع المسلم عدة وظائف، أهمها الوظيفة الدينية، ثم الوظيفة التربوية، ثم الوظيفة الاجتماعية. وقد كان المسجد يؤدي كل تلك الوظائف في ألوية الجهاد، والجانب القضائي حيث يتمّ فيه الفصل بين المتخاصمين.

ولذلك سعى معاذ بن جبل إلى بناء المساجد في اليمن لما أرسل إليها، فقد بنى جامع الجند، والذي يعد من أقدم الجوامع في التاريخ الإسلامي، وهو واحد من ستة مساجد بناها الصحابي معاذ في اليمن ولا يزال قائما حتى اليوم وكان كلما مر على

---

(١٨) أخرجه مسلم في **الصحيح**، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل أبي ذرّ ﷺ، ١٩١٩/٤، رقم: ٢٤٧٣.

(١٩) فريد جحا، **المسجد في الحضارة العربية**، المجلة العربية العدد ٢ السنة الثالثة ١٥ صفر ١٣٩٩هـ ١٤ شباط ١٩٧٩.

منطقة دعا أهلها إلى الإسلام وأسس لهم مسجداً للصلاة، لذلك تنسب إليه ستة مساجد في اليمن(٢٠).

ولما امتد فتوح العرب إلى خارج شبه الجزيرة العربية استخدم المسلمون العرب بعض القصور كما في سوريا وإيران وقاموا بتحويلها إلى مساجد، وأزالوا ما بها من أشكال وصور، وأما في العراق ومصر فقاموا بتأسيس مدن جديدة شيدوا فيها المساجد، ففي جامع البصرة الذي شيد في عام ١٤هـ، وجامع الكوفة الذي شيد عام ١٧هـ (٢١).

٢- حفر الآبار:

يعد حفر الآبار من أهم الإنجازات التي قام بها قادة النبي ﷺ عن سعد بن عبادة – رضي الله عنه - أنه قال: " يا رسول الله، إن أُم سعد ماتت، فأي الصدقة أفضل؟ قال: "الماء"؛ فحفر بئراً، وقال: هذه لأم سعد" (٢٢).

سعد بن عبادة أتى النبي ﷺ بعد أن توفيت أمه فقال: يا رسول الله «إن أم سعد» أي أمه، " ماتت، فأي الصدقة أفضل؟ " لتنال بها الأجر والمثوبة من الله تعالى بعد موتها؛ براً بها وحرصاً على جريان حسناتها، فقال النبي ﷺ: "الماء". فهو أعم نفعاً خصوصاً وحاجة الناس له شديدة في البلدان الحارة التي يشح فيها الماء. فحفر سعد ﷺ بئراً، وقال سعد: إن هذه البئر صدقة لأم سعد، أي سبّلها وأعلنها للملأ، لينتفعوا بها، ويدعوا لواقفها وأمه. وكانت سقاية أم سعد معروفة في المدينة، وقد انتفع بها خلق كثير.

يقول الشيخ عبد المحسن العباد – حفظه الله – في شرحه لسنن أبي داود: "سقي الماء من خير أنواع الإحسان؛ وذلك لشدة حاجة الناس إلى الماء، وعدم استغنائهم عنه، وهذا الحديث يدل على عظم شأن إنفاق الماء لمن يحتاجه، وبذله في سبيل الله، وتسبيله للناس حتى يستفيدوا منه، فهو مادة الحياة، وبه حياة المخلوقات، وقد جعل الله تعالى من الماء كل شيء حي، والمراد بذلك من لا يعيش إلا بالماء، وكان الماء من ضرورياته، فلا تحصل حياته إلا به... وحفر الآبار للسقي سواء لسقيا الناس أو لسقيا الدواب من الصدقات الجارية التي يكون الثواب عليها مستمراً بهذه الصدقة؛ لأن أجر الصدقات منه ما هو منته بانتهاء بقائها لمن يستحقها، ومنه ما هو مستمر لاستمرار الصدقة، كبناء المساجد، فالناس يستفيدون من المسجد باستمرار، ومثل حفر الآبار ومد الماء منها إلى الناس كي يشربوا منه، فما دام النفع حاصلاً فإن الأجر مستمر ودائم" (٢٣).

---

(٢٠) أبو بكر عبد الله: **ملاحق الخليج، ملحق الصائم.**
http://www.alkhaleej.ae/supplements/page/cb4e4d73-d71a-4a64-8c78-78f591d25dd1.

(٢١) نعمت علام: **فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية**، ص (١٨).

(٢٢) أخرجه أبو داود في **السنن**، كتاب الزكاة، باب في فضل سقي الماء، ١٣٠/٢، رقم ١٦٨١.

(٢٣) **شرح سنن أبي داود**، للشيخ عبد المحسن العباد، محاضرات صوتية، (٢٠٤/ ١٦).

وقد اهتم الصحابة بحفر الآبار لأن للماء قيمة عظيمة؛ ولهذا حث النبي ﷺ صحابته الكرام وأمته من بعدهم على حفر الآبار وسقي الماء وتوفيره، ونهى عن حبس فضل الماء واعتبر فعل ذلك كبيرة من الكبائر، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله: " ثلاثة لا ينظر الله إليهم يوم القيامة ولا يزكيهم ولهم عذاب أليم - ذكر منهم- : رجل كان له فضل ماء بالطريق فمنعه من ابن السبيل" (٢٤).

وفي رواية للبغوي من طريق بشر بن الأسلمي عن أبيه: أن بئراً كانت لرجل من بني غفار يقال لها: رومة، وكان يبيع منها القربة بمد، فقال: له النبي: " تبيعنيها بعين في الجنة؟ » فقال يا رسول الله، ليس لي ولا لعيالي غيرها، فبلغ ذلك عثمان، فاشتراها بخمسة وثلاثين ألف درهم، ثم أتى النبي ﷺ فقال: أتجعل لي ما جعلت له؟ قال: "نعم"، قال: قد جعلتها للمسلمين(٢٥)، وللنسائي من طريق الأحنف عن عثمان قال: " اجعلها سقاية للمسلمين وأجرها لك" (٢٦).

وبئر رومة من أوائل الأوقاف الخيرية في الإسلام يصل نفعها لعموم المسلمين، ذكر ابن عبد البر أن بئر رومة كانت ركية ليهودي يبيع من مائها للمسلمين، فقال رسول الله ﷺ: "من يشتري رومة فيجعلها للمسلمين، يضرب بدلوه في دلائهم، وله بها مشربة في الجنة؟ ". فأتى عثمان اليهودي فساومه بها، فأبى أن يبيعها كلها، فاشترى عثمان نصفها باثنتي عشر ألف درهم فجعلها للمسلمين، فقال له عثمان: إن شئت جعلت على نصيبي قرنين، وإن شئت فلي يوم ولك يوم، فقال: بل لك يوم ولي يوم، فكان إذا كان يوم عثمان استقى المسلمون ما يكفيهم يومين، فلما رأى ذلك اليهودي قال: أفسدت عليّ ركيتي، فاشترى النصف الآخر بثمانية آلاف درهم(٢٧).

ومن بركة وقف بئر رومة، أنه لا يزال الماء فيها عذبا رقراقا إلى يومنا هذا، ومعروفة عند أهل مدينة رسول الله ﷺ ببئر عثمان بن عفان رضي الله عنه، وهي من أشهر المعالم الوقفية التي بقيت عبر العصور الإسلامية من عهد النبي ﷺ إلى عصرنا الحاضر، ويعرفها أهل المدينة جيلاً بعد جيل، ووصفها العديد من العلماء منهم الشيخ

---

http://books.islam-db.com/book/%D8%B4%D8%B1%D8%AD_%D8%B3%D9%86%D9%86_%D8%A7%D8%A8%D9%8A_%D8%AF%D8%A7%D9%88%D8%AF_%D9%84%D9%84%D8%B9%D8%A8%D8%A7%D8%AF/5501 .

(٢٤) أخرجه البخاري في **الصحيح**، كتاب المساقاة، بَابُ إِثْمِ مَنْ مَنَعَ ابْنَ السَّبِيلِ مِنَ المَاءِ، ١١٠/٣، برقم: ٢٣٥٨.

(٢٥) الشوكاني: **نيل الأوطار**، كتاب الوقف ط١ (٣١٣/٤).

(٢٦) أخرجه النسائي في **السنن**، كتاب الجهاد، باب من جهز غازيا، ٤٦/٦، برقم: ٣١٨١.

(٢٧) ابن عبد البر: **الاستيعاب** في معرفة الأصحاب ط١ (دج/٥٤٥)، وعنه نقل كل من جاء بعده، وبعض مؤرخي المدينة المنورة، وهذا دون سند، والنصوص الصحيحة لم تذكر فيها قصة اليهودي.

العباسي من علماء القرن العاشر بقوله: «قلت: والبئر بجانب مسجد القبلتين، وبقرب البئر بناء يشبه حصنًا منهدمًا، ويقال: إنه كان ديراً لليهود، وفي أطراف هذه البئر آبار أخرى كثيرة، ومزارع، وهي قبلي الجرف وآخر العقيق، وبقربها اجتماع السيول.. وبينها وبين مسجد القبلتين بستان لحاكم المدينة[٢٨].

٣- الوقف:

قد اهتم الصحابة الكرام، وامتثلوا توجيه رسولنا الكريم ﷺ في وقف الأوقاف التي تنوعت أصولها، وتعددت مصارف ريعها، ليعم النفع للمجتمع المسلم، فدعوة النبي ﷺإلى الصدقة الجارية لاقت آذاناً صاغية، من عباد الله المخلصين، لا سيما الصحابة رضوان الله عليهم، الذين عاصروا التنزيل وفهموا أسراره وعرفوا ما تهدف إليه الشريعة فبادروا مستجيبين لنداء الرسولﷺ ، فأوقفوا الأراضي والحدائق والأسلحة والدروع، ثمَّ تتابعت الأوقاف، واستمر القادرون على الوقف على مدى التاريخ الإسلامي يوقفون أموالهم، أوقافاً تتسم بالضخامة والتنوع، حيث صارت هذه الأوقاف من مفاخر المسلمين، لم يدعوا جانباً من الجوانب الخيِّرة إلا أوقفوا فيه من أموالهم، حتى شملت هذه الأوقاف الإنسان والحيوان. وبلغت ما لا يخطر على بال إنسان أن يفعله في شرق ولا غرب.

ويعد ما بذله صحابة رسول الله من مالهم في البر والإحسان، والوقف على وجه الخصوص من أهم إنجازات قادة النبي ﷺ.

قال جابر: "لم يكن أحد من أصحاب النبي ذو مقدرة إلا وقف" [٢٩].

وعن سعد بن زرارة قال: " ما أعلم أحداً من أصحاب رسول الله ﷺ من أهل بدر من المهاجرين والأنصار إلا وقد وقف من ماله حبساً، لا ُيشترى، ولا يورث ولا يوهب، حتى يرث الله الأرض ومن عليها [٣٠].

وكانت أوَّل صدقة موقوفة في الإسلام أراضي مُخيريق[٣١]؛ وقد أورد ابن سعد في طبقاته عن محمد بن كعب القرظي أنه قال: "كانت الحبس على عهد رسول الله ﷺ حبس سبعة حوائط بالمدينة: الأعواف، والصافية، والدلال، والميثب، وبرقة، وحسنى، ومشربة أم إبراهيم. قال ابن كعب: وقد حبس المسلمون بعده على أولادهم وأولاد أولادهم" [٣٢].

---

(٢٨) العباسي، **عمدة الأخبار** دط (دج/٢٦٥).

(٢٩) أورده ابن قدامة في **المغني** ١٨٥/٨، والزركشي ٢٦٩/٤، ولم أقف عليه مسنداً.

(٣٠) الخصاف: **أحكام الأوقاف للخصاف**دط(دج/ ص١٥).

(٣١) مخيريق النضرى، صحابي، كان من علماء اليهود وأغنيائهم، أسلم، وأوصى بأمواله للنبي ﷺ، واستشهد بأحد سنة ٣هـ. انظر ابن حجر: **الإصابة** ط١ (٥٧/٦).

(٣٢) ابن سعد: **الطبقات الكبرى** ط١(٥٠٣/١).

وجاء في الحديث عن أنس رضي الله عنه قال: "كان أبو طلحة رضي الله عنه أكثر أنصاري بالمدينة مالا من نخل، وكان أحب أمواله إليه بئر حاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فتصدق بها أبو طلحة رضي الله عنه" على الفقراء والمساكين الواردين والصادرين لزيارة سيد المرسلين. (٣٣)

وهذا الحديث فيه أن الصدقة على الأقارب أفضل من الأجانب إذا كانوا محتاجين، وفيه أن القرابة يرعى حقها في صلة الأرحام وإن لم يجتمعوا إلا في أب بعيد؛ لأن النبي ﷺ أمر أبا طلحة أن يجعل صدقته في الأقربين فجعلها في أبي بن كعب وحسان بن ثابت، وإنما يجتمعان معه في الجد السابع، وفيه تقديم الأقرب من الأقارب على غيرهم.

وفيه أنه لا يشترط في الموقوف عليه أن يكون قريباً من الموقِف أو من نسله، بل لصاحب الوقف أن يعطي القريب والبعيد على درجة سواء، فالوقف يجوز فيه التفاضل، ويجوز فيه تخطي القريب إلى البعيد، وفيه أنه لا يجب الاستيعاب للكل؛ لأن بني حرام الذين اجتمع فيهم أبو طلحة وحسان كانوا بالمدينة كثيراً.

وفيه اتخاذ الحوائط والبساتين ودخول أهل الفضل والعلم فيها، والاستظلال بظلها والأكل من ثمرها والراحة والتنزه فيها، وقد يكون ذلك مستحبا يترتب عليه الأجر إذا قصد به إجمام النفس من تعب العبادة وتنشيطها للطاعة، وفيه كسب العقار، وإباحة الشرب من دار الصديق ولو لم يكن حاضرا إذا علم طيب نفسه، وفيه إباحة استعذاب الماء وتفضيل بعضه على بعض.

وفيه جواز إشهار الصدقة، وإشهار تخصيصها، وفيه جواز الوقف على الأقارب، وفيه فضيلة لأبي طلحة لأن الآية تضمنت الحث على الإنفاق من المحبوب فترقى هو إلى إنفاق أحب المحبوب، فصوب رأيه وشكر عن ربه فعله، ثم أمره أن يخص بها أهله، وكنى عن رضاه بذلك بقوله: "بخ".

وفي أنواع الوقف وأقسامه باعتبار الموقوف عليهم، لم يكن المتقدمون يفرقون في التسمية بين ما وقف على الذرية، وما وقف على غيرهم من جهات البر، بل الكل يسمى عندهم وقفاً، أو حبساً، أو صدقة، فهذا التقسيم لم يرد في اصطلاحات الفقهاء وإنما جرى به عرف الناس؛ لأن الأصل في الأوقاف كلهما أن تكون منسوبة إلى الخير لأنها من أعمال الإحسان والبر.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضيَ اللهُ عَنهُمَا قَالَ: أصَابَ عُمَرُ بِخَيْبَرَ أرْضاً، فَأتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: أصَبْتُ أرْضاً، لَمْ أصِبْ مالاً قَطُّ أنْفَسَ مِنْهُ، فَكَيْفَ تَأْمُرُنِي بِهِ؟ قَالَ: " إنْ شِئْتَ حَبَّسْتَ أصْلَهَا وَتَصَدَّقْتَ بِهَا". فَتَصَدَّقَ عُمَرُ: أنَّهُ لا يُبَاعُ أصْلُهَا، وَلا يُوهَبُ ولا يورث،،

(٣٣) أخرجه البخاري في **الصحيح**، كتاب الزكاة، باب الزكاة على الأقارب، ٥٣٠/٢، رقم: ١٣٩٢.

فِي الْفُقَرَاءِ، وَالْقُرْبَى، وَالرِّقَابِ، وَفِي سَبِيلِ اللهِ، وَالضَّيْفِ، وَابْنِ السَّبِيلِ، لا جُنَاحَ عَلَى مَنْ وَلِيَهَا أَنْ يَأْكُلَ مِنْهَا بِالمَعْرُوفِ، أَوْ يُطْعِمَ صَدِيقًا غَيْرَ مُتَمَوِّلٍ فِيهِ ". (٣٤)

وعن أنس رضي الله عنه قال: أمر النبي ﷺ ببناء المسجد، فقال: " يا بني النجار، ثامنوني بحائطكم هذا" قالوا: لا والله، لا نطلب ثمنه إلا إلى الله (٣٥).

حينما قدم رسول الله ﷺ المدينة وأمر ببناء المسجد، أرسل إلى أعيان وكبار بني النجار، وطلب إليهم أن يبيعوا أرضاً لهم، ليبني عليها رسول الله ﷺ مسجداً، فكان جوابهم أنهم جعلوا تلك الأرض وقفاً لله تعالى، لا يطلبون ثمناً لها من أحد، إلا الأجر والثواب من الله تعالى.

وفي لفظ آخر، قال أنس ﷺ: قدم النبي ﷺ المدينة، وأمر ببناء المسجد، فقال: "يا بني النجار، ثامنوني"، فقالوا: لا نطلب ثمنه إلا إلى الله، فأمر بقبور المشركين فنبشت، ثم بالخرب فسويت، وبالنخل فقطع، فصفوا النخل قبلة المسجد.

وقال الحافظ في (الفتح): " وفي الحديث فضيلة هذه المساجد، ومزيتها على غيرها؛ لكونها مساجد الأنبياء، ولأن الأول: قبلة الناس وإليه حجهم، والثاني: كان قبلة الأمم السالفة، والثالث: أسس على التقوى". (٣٦)

منذ تلك اللحظة صار المسجد منارة تشع في أرجاء دولة الإسلام الناشئة، كما كان أيضاً بداية الانطلاقة جيوش الإسلام التي فتحت مشارق الأرض ومغاربها في عهده وعهد من جاء بعده من خلفاء المسلمين، ولبني النجار أجر جار منذ أن بني المسجد النبوي إلى يومنا هذا، بل إلى آخر الزمان؛ فكلما صلى فيه المصلون؛ واعتكف فيه المعتكفون؛ وقُرئ فيه القرآن، وعقدت في جنباته حلقات العلم، منذ أكثر من أربعة عشر قرناً إلى ما يشاء الله تعالى، لا يحصي أجورهم على أرضهم تلك إلا الله تعالى، وهذه بركة من بركات الوقف لله تعالى؛ فهنيئاً لبني النجار على هذا الأجر العظيم.

جاء في الفتح: " أن بني النجار تصدقوا بالأرض لله عز وجل، فقبل النبي ﷺ ذلك، ولم ينكر قولهم، وهذا دليل على أنه إذا أوقف جماعة أرضًا مشَاعًا فهو جائز. فلو كان وقف المشاع لا يجوز لأنكر عليهم وبين لهم الحكم، واستدل بهذه القصة على أنه حكم المسجد يثبت للبناء إذا وقع بصورة المسجد ولو لم يصرح الباني بذلك، وعن بعض المالكية إن أذن فيه ثبت له حكم المسجد، وعن الحنفية إن أذن للجماعة بالصلاة فيه ثبت والمسألة مشهورة، ولا يثبت عند الجمهور إلا إن صرح الباني بالوقفية أو ذكر صيغة

(٣٤) أخرجه البخاري في **الصحيح**، كتاب الوصايا، باب الشروط في الوقف، ١٢/٤، برقم: ٢٧٧٢.

(٣٥) أخرجه البخاري في **الصحيح**، كِتَاب الصَّلَاةِ، بَاب هَلْ تُنْبَشُ قُبُورُ مُشْرِكِي الْجَاهِلِيَّةِ وَيُتَّخَذُ مَكَانُهَا مَسَاجِدَ، ٤٣٨/١، رقم: ٤٢٨.

(٣٦) ابن حجر، **فتح الباري** ط١ (٣/ ٦٥).

محتملة ونوى معها. وجاء أيضاً: " ومراد البخاري أن الوقف يصح بأي لفظ دل عليه إما بمجرده وإما بقرينة والله أعلم" (٣٧).

وهكذا سجَّل التاريخ لكثير من أهل الخير والثراء من المسلمين: أنهم وقفوا - بدافع الرحمة التي قذفها الإيمان في قلوبهم، والرغبة في مثوبة الله لهم، وألاَّ ينقطع عملهم بعد موتهم - أموالهم كلَّها أو بعضها على إطعام الجائع، وسقاية الظمآن، وكسوة العريان، وإعانة المحروم، ومداواة المريض، وإيواء المشرَّد، وكفالة الأرملة واليتيم، وعلى كلِّ غرض إنساني شريف، بل أشركوا في برِّهم الحيوان مع الإنسان(٣٨).

٤- التجارة:

تعد التجارة من أهم الإنجازات المدنية التي قام بها قادة النبي ﷺ، وخاصة بعد الهجرة، فقد اشتهر جماعة من الصحابة بالتجارة، حتى نتج عن ذلك نشاطٌ اقتصاديٌ واسعُ النطاق، وحققوا مكاسب كبيرة، ومن أهم هؤلاء الصحابة ما يلى:

١- أبو بكر الصديق:

عمل أبو بكر الصديق بالتجارة وكان ذا تجارة واسعة قبل الإسلام، وبعد الإسلام، فتأكد الروايات أنه لم ينقطع عن التجارة حتى في المدينة، فقبل وفاة النبي ﷺ خرج في تجارة الى البصرى قبل موت النبي بعام (٣٩).

وتؤكد الروايات أيضاً أن ابا بكر أصبح من ملاك المدينة بعد هجرته مع الرسول إليها، فيذكر أنه عندما أقطع الرسول الدور بالمدينة جعل لأبي بكر موضع داره عند المسجد وهي الدار التي صارت لآل معمر (٤٠).

ويروى أن أبا بكر كان يمتلك ضياعا في اليمامة، كما كانت له ضيعة في السنج، وضياع في قرية السوارقية (٤١) وهي قرية من قرى المدينة وعرفت بقرية أبي بكر لكثرة ممتلكاته بها.

قال بن حجر: "وأشار بذلك إلى أنه كان كسوبا لمؤنته ومؤنة عياله بالتجارة من غير عجز، تمهيدا على سبيل الاعتذار عما يأخذه من مال المسلمين إذا احتاج إليه". قوله: "وشغلت" جملة حالية أي أن القيام بأمور الخلافة شغله عن الاحتراف، وقد روى ابن سعد وابن المنذر بإسناد صحيح عن مسروق عن عائشة قالت: "لما مرض أبو بكر مرضه الذي مات فيه قال: انظروا ماذا في مالي منذ دخلت الإمارة فابعثوا به إلى الخليفة

---

(٣٧) ابن حجر، **فتح الباري** ط١(٥/ ٤٠٥).

(٣٨) القرضاوي، **الوقف الخيري وأثره في تاريخ المسلمين** ط٢ (دج/ ٢٥).

(٣٩) البلاذري: **أنساب الأشراف** ط١ (١١٢/٥).

(٤٠) ابن سعد، **الطبقات** ط١(٢٧٣/٣)، البلاذري **انساب الأشراف** ط١(٦٢/١٠).

(٤١) السمعاني **الأنساب**دط (٢٨٦/٧)، الذهبي: **سير أعلام النبلاء** ط٢ (١١٠/٢)، ابن شيبه **تاريخ المدينة** دط(٢٤٢/١).

بعدي. قالت: فلما مات نظرنا فإذا عبد نوبي كان يحمل صبيانه، وناضح كان يسقي بستانا له، فبعثنا بهما إلى عمر فقال: رحمة الله على أبي بكر، لقد أتعب من بعده"[٤٢].

٢- طلحة بن عبيد الله:

كان طلحة من كبار تجار المسلمين [٤٣] وبعد هجرته للمدينة زاول مهنة التجارة، وسافر لبلاد الشام للتجارة، ويذكر أنه وفي الشهر الذي وقعت فيه بدر كان في رحلة تجارية لبلاد الشام [٤٤].

ولما مات طلحة رضي الله عنه خلف من الأموال الشيء الكثير، سأل معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه موسى بن طلحة، ولده، فقال له: كم ترك أبو محمد، أي كم خلف من الأموال؟ فقال له: ترك ألفي ألف درهم، ومائتي ألف درهم، هذا من الفضة، أما من الذهب فخلف مائتي ألف دينار، فقال معاوية ﷺ: "عاش حميداً سخياً شريفاً، وَقُتِلَ فَقِيْداً، رَحِمَهُ اللهُ" [٤٥].

٣- سعيد بن زيد:

عمل سعيد بالتجارة البرية، فقد كانت تجارته إلى بلاد الشام وغيرها، فخرجت قوافله التجارية إليها، وعندما حدثت غزوة بدر كان في تجارة غلى الشام مع طلحة بن عبيد الله، فلم يحضرا الغزوة[٤٦].

وعمل سعيد بن زيد مع طلحة بن عبيد الله في التجارة البحرية، فكانت التجارة البحرية قد عمل بها كبار التجار، ففي خلافة عمر بن الخطاب حاول زيادة وتنشيط التجارة البحرية، فأمر بحفر خليج يربط البحر الاحمر بالنيل لتسهيل التجارة ما بين مصر والحجاز، وليمد الدولة بخيرات مصر، فتم حفر خليج عرف بخليج أمير المؤمنين [٤٧].

امتلك سعيد أراضي بالكوفة كان أقطعه إياها عثمان بن عفان، ويذكر أنه امتلك ضيعة له بالعقيق[٤٨].

---

(٤٢) ابن حجر: **فتح الباري** ط١ (٤/ ٣٠٤).

(٤٣) ابن سعد، **طبقات** ط١(٣١/٣)، ابن عساكر، **تاريخ دمشق** ط١(١٦٠/٢٥)، ابن كثير، **البداية والنهاية** دط(٢٤٧/٧)

(٤٤) ابن حجر، **الإصابة**ط١ (٥٣١/٣).

(٤٥) الذهبي، **سير أعلام النبلاء** ط٢(١/ ٣٤)

(٤٦) ابن الأثير، **أسد الغابة** ط١(٣٧٠/٣) الذهبي: **سير اعلام النبلاء** ط٢(١٣٥/١)، ابن كثير، **البداية والنهاية**دط (٢٤٧/٧)

(٤٧) ابن الجوزي: **المنتظم** دط (٦٥٢/٤) ابن الاثير **الكامل** دط(٣٨٩/٢)

(٤٨) ابن عبد البر: **الاستيعاب** ط١ (٦١٨/٢) الذهبي: **سير اعلام النبلاء** ط٢(٧١/٥)، ابن حجر: **فتح الباري** ط١(١٠٤/٥)

٤- عثمان بن عفان:

تذكر الروايات أن عثمان بن عفان كان ثرياً، وكان رجلا تاجراً في الجاهلية والإسلام، وكان يدفع ماله قراضاً، واعتبر من أشهر تجار الطعام فكان يجلب إليه الطعام ليبيعه! (٤٩).

وكانت تجارته إلى الشام، فكان يتاجر بالسمن والدقيق من الشام إلى المدينة، وخرجت تجارته مع الجيوش الإسلامية خلال الغزوات، قال عثمان: لقد خرجت ببضاعة في موسم بدر فربحت للدينار ديناراً، فرجعت بخير وبفضل من ربنا (٥٠).

عمل عثمان بالمضاربة يذكر العلاء بن عبد الرحمن عن أبيه أن عثمان دفع إليه مالا فضاربه على النصف، وهذا يدل على أن عثمان كان مسيطراً على السوق التجارية (٥١).

٥- عبد الرحمن بن عوف:

كان عند هجرته رضي الله عنه معدوماً فقال: " دلوني على السوق " فتاجر وأصبح من كبار التجار، أخذ يدير قوافل تجارية خاصة به، بلغت إحدى قوافله من الشام والمحملة بالطعام سبعمائة راحلة (٥٢).

أصبح أكثر أصحاب النبي ﷺ مالاً، ومن كبار التجار، وعامة أمواله من التجارة، وكانت تجارته إلى الشام ومصر، شارك أمية بن خلف في العمل بالصياغة في مكة والمدينة(٥٣).

قال ابن عبد البر: " كان مجدوداً أي "محظوظاً" بالتجارة، خلَّف ألف بعير، وثلاثة آلاف شاه، ومائة فرس، وكان يزرع بالجرف -وهو موضع، على مسافة ثلاثة أميال من المدينة تقريباً إلى جهة الشام- وكان يزرع بالجرف على عشرين ناضح" (٥٤).

٦- الزبير بن العوام:

كان رضى الله عنه من طبقة التجار، ووصلت ثقة العامة به إلى درجة أنهم كانوا يودعون أموالهم عنده لحفظها لهم، فكان يقوم بتحويل هذه الودائع والاموال إلى قروض

---

(٤٩) بن سعد: **طبقات ط١**(٦٠/٣) الطبري **تاريخ الطبري** (٤٠١/٤)

(٥٠) البلاذري: **أنساب الأشراف** ط١ (١١٢/٥) الواقدي: **مغازي الواقدي** دط(٣٨٧/١)

(٥١) بن سعد: **طبقات** (٧٦/٣) **أنساب الأشراف** (٢/٥) الكتاني **التراتيب للكتاني** دط(٢٥/٢)

(٥٢) البلاذري، **أنساب الأشراف** ط١ (٣١/١٠) ابن الاثير: **أسد الغابةط١** (٣٥١/٣) ابن كثير: **البداية والنهاية** (١٦٤/٨).

(٥٣) ابن عساكر: **تاريخ دمشق** ط١(٢٦٣/٣) الديار بكري: **تاريخ الخميس** دط (٢٥٧/٢).

(٥٤) ابن عبد البر **الاستيعابط١** (١/ ٢٥٦).

حيث يقول لهم: لكنه سلف، فإني أخشى عليه الضياع، وذلك ليتيح لنفسه التجارة بهذه الأموال لحسابه الخاص عندما تكون قروضاً[٥٥].

٧- عروة بن الجعد الأزدي البارقي:

رضي الله عنه وله قصةٌ شهيرة، هي في صحيح البخاري: أن النبي ﷺ أعطاه ديناراً وقال: اشترِ لي شاةً، فذهب واشترى شاتين، ثم باع إحداهما بالثمن نفسه، وجاء إلى النبي ﷺ بماله وبشاته، فدعا له النبي ﷺ فكان لا يُضارب في صفقةٍ، إلاَّ ربِح فيها، حتى اعتقد الصحابة ﷺ أنه لو باع التراب لربح فيه[٥٦].

وبهذا الهمة وبهذا العزم استطاع المسلمون أن يزاحموا الاقتصاد اليهودي في المدينة المنورة، وأن يجعلوا المال إسلامياً، وهذا شيء له خطورته في كسب النصر للدين نفسه، فإن الاقتصاد يوم تعبث به أيدي من لا ملة لهم ولا شرف فإنهم يسخرونه في ضرب الملة السمحة[٥٧].

المبحث الثالث

الإنجازات في المجال العسكري

إن انتصارات المسلمين الرائعة على قوى تفوقهم عددا وعدة لم يكن بالتواكل والحماس والشجاعة فقط، ولكن كان هناك تنظيم علمي مدروس وتخطيط ذكي واستعداد دائم، كان هناك تنظيم وترتيب، وكان هناك تخطيط ومكيدة، وكانت هناك خبرة بفنون الحرب فحياة الصحابة الحربية تدلنا بوضوح على أن تفوق المسلمين الحربي وانتصاراتهم التاريخية حيث تفوق المسلمون على أعتى جيوش العالم في عصرهم، وأكثرها تدريبا وأحسنها سلاحا وعددا فلقد حققت الجيوش الإسلامية من المهام والانجازات ما أصبح من الحقائق التاريخية التي لا تنازع والتي نذكر منها على سبيل المثال:

١- مراقبة تحرّكات العدو العسكريّة:

لقد برع المسلمون في الاستخبارات وكان القائد المسلم قبل أي معركة من المعارك الحاسمة يحرص على أن تكون لديه حصيلة وافية عن قوات العدو وأرضه، وقيادته وطباعه وعاداته، وكان هذا أحد أسرار الانتصارات الإسلامية الكبرى، والقرآن الكريم يذكرهم الاستخبارات فيقول تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انفِرُوا جَمِيعًا[٥٨].

---

(٥٥) ابن الجوزي: **صفة الصفوة** دط (٣٤٨/١).

(٥٦) أخرجه البخاري في **الصحيح**، كتاب المناقب، باب سؤال المشركين أن يريهم النبي ﷺ آية فأراهم انشقاق القمر، ٣٢٢/٣، رقم: ٣٤٤٣.

(٥٧) الغزالي، **خطبة للشيخ بعنوان نظرة الإسلام إلى المال.**

(٥٨) النساء: ٧١.

لقد استخدم النبيّ ﷺ منذ تشكيله للدولة الإسلاميّة نظام المراقبة على تحرّكات العدو العسكريّة حتّى أنّ كثيراً من نجاحاته وانتصاراته العسكريّة والسياسيّة ترجع إلى اهتمامه البالغ بالمعلومات التي كانت ترد إليه من الأعداء عن طريق (عيونه) وجواسيسه الذين كان يبثّهم في كلّ مكان، فيرفعون إليه ما يشاهدونه من تحرّكات العدوّ، ويخبرونه بأخبارهم وأقوالهم وأفعالهم، فكان ﷺ يباغتهم وهم في عقر دارهم ويفاجئهم وهم نيّام راقدون.

وإليك فيما يأتي نماذج من هذا الأمر:

١- كان بسبس بن عمرو، وعدي بن أبي الزغباء (الذين أرسلا من جانب النبيّ للتجسّس على قريش) قد مضيا حتّى نزلا بدراً فأناخا إلى تل قريب من الماء ثمّ أخذا شناً لهما يستقيان فيه، ومجديّ بن عمرو الجهنيّ على الماء فسمع عدي وبسبس جاريتين من جواري القوم النازلين على الماء وهما يتلازمان ويتعاركان على الماء والملزومة تقول لصاحبتها إنّما تأتي العير غداً أو بعد غد، فاعمل لهم ثمّ أقضيك الذي لك، قال مجدي: صدقت ثمّ خلص بينهما وسمع ذلك عدي وبسبس فجلسا على بعيريهما ثمّ انطلقا حتّى أتيا رسول الله ﷺ فاخبراه بما سمعا (٥٩).

٢- تحالفت قريش واليهود وغطفان في حرب الخندق ضد النبيّ ﷺ وصاروا كتلة واحدة على الإسلام والمسلمين، فاتّخذ النبيّ ﷺ سياسة التفرقة بينهم فبعث نعيم ابن مسعود، الذي قام بدوره بأحسن صورة، التي تعد فريدة في نوعها وإليك القصّة:

جاء نعيم بن مسعود إلى رسول الله ﷺ وقال: يا رسول الله إنّي قد أسلمت وإنّ قومي لم يعلموا بإسلامي فمرني بما شئت، فقال رسول الله ﷺ: " إنّما أنت فينا رجُل واحد فخذّل عنّا إن استطعت فإنّ الحرب خُدعة ".

فخرج نعيم حتّى أتى بني قريظة وكان لهم نديماً في الجاهليّة فقال: يا بني قريظة قد عرفتم ودّي إيّاكم، وخاصّة ما بيني وبينكم، قالوا: صدقت لست عندنا بمتّهم، فقال لهم: إنّ قريشاً وغطفان ليسوا كأنتم، البلد بلدكم، فيه أموالكم وأبناؤكم ونساؤكم لا تقدرون على أن تحولوا منه إلى غيره وانّ قريشاً وغطفان قد جاؤوا لحرب محمّد وأصحابه وقد ظاهرتموهم عليه وبلدهم وأموالهم ونساؤهم بغيره فليسوا كأنتم فإن رأوا نهزة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخلّوا بينكم وبين الرجل ببلدكم ولا طاقة لكم به إن خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتّى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن تقاتلوا معهم محمّداً حتّى تناجزوه، فقالوا له: قد أشرت بالرأي.

ثمّ أتى إلى أبي سفيان ورجال قريش وقال: إنّ اليهود قد ندموا على ما صنعوا مع محمّد وتعهّدوا له بأن يسلّموا إليه رجالاً من قريش ليعفو عنهم ثمّ خرج إلى غطفان وهم عشيرته وحذّرهم وقال لهم مثل ما قال لقريش.

---

(٥٩)ابن هشام، **السيرة** دط (١/ ٦١٦، ٦١٧).

وهكذا ألقى الحيرة والخوف وعدم الثقة بين قريش وغطفان واليهود المتحالفين ضدّ النبيّ ﷺ.

فلمّا اقترب موعد الحرب ضد النبيّ طلبت اليهود من قريش وغطفان رجالاً كرهائن عندهم، قالت قريش وغطفان: إنّا والله لا ندفع إليكم رجلاً واحداً من رجالنا فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا... (٦٠) وهكذا انفرط عقد التحالف القرشيّ اليهوديّ الغطفانيّ بفعل نعيم وتخذيله والدور الذي لعبه كما يلعبه أي جاسوس يعمل لصالح جهة معيّنة، وينفّذ تكتيك التفرقة بين قوى العدو ببث الشائعات والتخويف.

٣- وفي أُحد بعث النبيّ ﷺ عينين له أنساً ومؤنساً ابني فضالة ليلة الخميس فاعترضا لقريش بالعقيق فسارا معهم حتّى نزلوا بالوطاء فأتيا رسول الله فأخبراه بمكان قريش وأنّ مع قريش ثلاثة آلاف بعير ومائتا فرس وغير ذلك.

٤- ومن قادة المسلمين الذين نبغوا في الاستخبارات عمرو بن العاص، فكان يتنكر بنفسه في التجار ويدخل معسكرات الرومان في مصر، وكانوا إذا أرادوا التفاوض ذهب بنفسه في زي جندي عادي من الوفد وترك غيره يتكلم وهو يستمع ويتطلع ويلاحظ. دون أن يعرفوه، وهكذا لم يكن يعتمد على الجواسيس المحترفين من العرب والقبط وحدهم، بل يستطلع بنفسه، ويدرس عقلية قادة الأعداء وأفكارهم بنفسه.

هكذا كان رسول الله ﷺ يستطلع أخبار القوم ويتجسّس عليهم ويبطل مؤامراتهم في اللحظة المناسبة.

٥- ومنهم حذيفة بن اليمان فقد روى مسلم في صحيحة عن يزيد بن شريك قال: حُذَيْفَةَ فَقَالَ رَجُلٌ لَوْ أَدْرَكْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَاتَلْتُ مَعَهُ وَأَبْلَيْتُ فَقَالَ حُذَيْفَةُ أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لَيْلَةَ الأَحْزَابِ وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ " أَلاَ رَجُلٌ يَأْتِينِى بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ". فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ ثُمَّ قَالَ: " أَلاَ رَجُلٌ يَأْتِينِى بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ". فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ ثُمَّ قَالَ: " أَلاَ رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللَّهُ مَعِى يَوْمَ الْقِيَامَةِ ". فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ فَقَالَ: " قُمْ يَا حُذَيْفَةُ فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ ". فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِى بِاسْمِى أَنْ أَقُومَ قَالَ: " اذْهَبْ فَأْتِنِى بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَلاَ تَذْعَرْهُمْ عَلَىَّ ". فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِى فِى حَمَّامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِى ظَهْرَهُ بِالنَّارِ فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِى كَبِدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ " وَلاَ تَذْعَرْهُمْ عَلَىَّ ". وَلَوْ رَمَيْتُهُ لأَصَبْتُهُ فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِى فِى مِثْلِ الْحَمَّامِ فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَفَرَغْتُ قُرِرْتُ فَأَلْبَسَنِى رَسُولُ اللَّهِ

(٦٠) السهيلي: **الروض الأنف**ط١(٣/ ٤٣٣)، ابن هشام: **السيرة النبوية**دط (١٨٨/٤) ابن كثير: **السيرة النبوية** دط(٣/ ٢١٥).

ﷺ مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّى فِيهَا فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ: " قُمْ يَا نَوْمَانُ "(٦١).

فالنبيﷺ ، الخبير بمعادن الرجال،، يوجه الأمر لحذيفة رضي الله عنة: " قُمْ يَا حُذَيْفَةُ فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ ". بكل شجاعة وجرأة، من غير تلكأ أو اعتراض يمتثل حذيفة الأمر " فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِى بِاسْمِى " فقد اختاره النبيﷺ لأنه الضابط لحركاته وسكناته فنجح في مهمة خير قيام.

ثانياً: إتقان كل أشكال العمليات الحربية:

ولقد أثبت المسلمون عمليًّا أنهم -طبقًا للمعايير المقررة في العلم العسكري- قادرون على القيام بجميع العمليات الحربية على اختلاف أشكالها، وأنواعها، ومستوياتها بكفاية عالية مثل الدفاع والهجوم والمطاردة والانسحاب والقتال في المدن والقرى ومهاجمة المواقع الحصينة والحصار واقتحام الأسوار وعبور الأنهار ومسير الاقتراب الطويل وأعمال الوقاية والحراسة وأعمال المخابرات والحرب النفسية، دوريات الاستطلاع والقتال والإغارة.. الخ.

ويقول كلاوزفير: "يمكن للقوات العسكرية المدربة جيدًا أن تقوم بجميع الأعمال الحربية".

وقد بلغ عدد قادة الفتوحات الإسلامية ستة وخمسين ومائتي قائد، كان منهم ستة عشر ومائتا قائد من صحابة النبي ﷺ الذين تعلموا على يديه وفي مدرسته، وليس هذا فحسب، بل باشروا القيادة تحت إشرافه وتوجيهه بصور شتى، فعملوا تحت قيادته العليا قادة للوحدات الفرعية التي يتألف منها الجيش، وقادوا السرايا الحربية قيادة مستقلة، وشاركوا في التخطيط الحربي فأصبحوا خبراء في التخطيط والقيادة معاً، والمعروف أن القادة الذين اكتسبوا خبرة عملية في الحرب يعدون من أثمن الثروات الاستراتيجية لأمتهم (٦٢).

ثالثاً: مواجهة كل أشكال التنظيم الحربي:

حارب المسلمون أشكالاً مختلفة من أشكال التنظيم الحربي، فقد واجهوا الجيوش المنظمة وغير المنظمة، وحتى الجيوش المنظمة لم تكن على نمط واحد من التنظيم، فبدهي أن تنظيم جيوش فارس كان مختلفاً عن تنظيم جيوش بيزنطة، فضلاً عن اختلاف نظريات كل جيش في إدارة المعارك. وعلى الرغم مما ينطوي عليه ذلك من مشاكل معقدة فإن المسلمين استطاعوا أن يقهروا أعداءهم على اختلاف تنظيماتهم. كذلك أثبت المسلمون قدرتهم وكفايتهم في إدارة البلاد المفتوحة وهو أمر ينطوي على الكفاية السياسية والاقتصادية والاجتماعية والإدارية بالإضافة إلى الكفاية العسكرية.

---

(٦١) أخرجه مسلم في **الصحيح**، الجهاد والسير، باب غَزْوَةِ الأَحْزَابِ، ١٧٧/٥، رقم: ٤٧٤١.

(٦٢)محفوظ، **المدخل إلى العقيدة العسكرية الإسلامية** دط (دج/ ٤٥).

فمثلاً عندما تولى القيادةَ خالدُ بنُ الوليد، في غزوة مؤته، أظهر مهارتَه ونبوغه في إنقاذ جيش المسلمين، من خلال مَكيدة حربية، فقد أدار المعركة بقية يومه، وفي الليل أمر مجموعة من المسلمين بأن يخرجوا إلى خلف الجبال ليعودوا فجرا مثيرين للغبار رافعين أصواتهم بالتكبير والتهليل، فيظن الروم بأن مددا قد أتى للمسلمين.

وقام بحيلة عسكرية فريدة من نوعها؛ إذ غير الميمنة ميسرة والميسرة ميمنة والمقدمة مؤخرة والمؤخرة مقدمة، لتختلف الوجوه على الروم، ويدب الرعب في قلوبهم ظنا منهم أن مددا عظيما قد أتى للمسلمين.

ثم فاجأهم خالد بالهجوم على قلب جيشهم وكاد يصل إلى قائدهم، وهنا رأى الروم أن جيش المسلمين ينتصر بالمدد الذي وصل إليهم، ثم فوجئوا بخالد بن الوليد ينسحب، فظنوا أنها خدعة منه، فلا يوجد جيش منتصر يقوم بالانسحاب، لذلك لم يتقدموا والتزموا مواقعهم، فيما انسحب خالد انسحابا تكتيكيا منظما وعاد بجيشه سالما غانما إلى المدينة المنورة مخلفا ١٣شهيدا فقط، بعد معركة دارت على أرض الأعداء استمرت سبعة أيام [٦٣] وبدا للناس في ظاهر الأمر أن انسحاب الجيش من أرض المعركة كان عن هزيمة، فصاحوا بالجيش وجعلوا يحثون التراب في وجوههم ويقولون: يا فرّار فررتم في سبيل الله. فبرأهم رسول الله ﷺ من هذه التهمة وأثنى عليهم وقال: " ليسوا بالفرّار، ولكنهم الكرّار إن شاء الله تعالى"[٦٤].

رابعاً: القدرة على الحرب في جبهتين:

ومن أعظم إنجازات العسكرية الإسلامية أن الأمة الإسلامية الناشئة استطاعت أن تفتح جبهتين وأن تدير دفة الحرب في كل منهما بكل كفاية واقتدار، وكان ذلك في مواجهة أعظم قوتين عالميتين في ذلك الوقت هما فارس وبيزنطة.. وذلك مثل فريد في التاريخ الحربي لم تبلغه أقوى الأمم وأعظمها خبرة في الحروب.

فمثلاً بعث النبي ﷺ سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة، في رجب من السنة الثانية للهجرة، وكان من خبرها كما قال ابن القيم:... فمرَّت به عِيرٌ لقريش تَحْمِلُ زبيباً وأَدَماً وتِجارةً فيها عَمْرو بن الحَضْرَمي، وعثمان، ونوفل ابنا عبد الله بن المغيرة والحكمُ بنُ كيسان مولى بنى المغيرة... ثم أجمعوا على مُلاقاتهم، فرمى أحدُهم عَمْراً بن الحضرمى فقتله، وأسروا عثمان والحكم، وأفْلَتَ نوفل، ثم قَدِمُوا بالعِير والأسيرين، وقد

(٦٣) ابو الحارث الأنصاري: **إرشاد السؤول إلى حروب الرسول** دط (١٠/١)

(٦٤) ابن هشام، **سيرة النبي ﷺ**: ٣/ ٤٣٨. وقد اعترض الحافظ ابن كثير على هذه الرواية، وذكر أن هذا الاستقبال كان للذين فروا حين التقى الجمعان، أما بقية الجيش فلم يفروا، بل نصروا كما أخبر النبي ﷺ، وهؤلاء تلقاهم المسلمون إكراما وإعظاما، انظر البداية والنهاية ٢٤٨/٤.

عزلوا مِن ذلك الخُمس، وهو أول خُمس كان في الإسلام، وأول قتيل في الإسلام، وأول أسيرين في الإسلام.

قال المباركفوري: وبعد وقوع ما وقع في سرية عبد الله بن جحش تحقق خوف المشركين وتجسد أمامهم الخطر الحقيقي، ووقعوا فيما كانوا يخشون الوقوع فيه، وعلموا أن المدينة في غاية من التيقظ والتربص، تترقب كل حركة من حركاتهم التجارية، وأن المسلمين يستطيعون أن يزحفوا إلى ثلاثمائة ميل تقريباً، ثم يقتلوا ويأسروا رجالهم، ويأخذوا أموالهم، ويرجعوا سالمين غانمين، وشعر هؤلاء المشركون بأن تجارتهم إلى الشام أمام خطر دائم (٦٥).

وفي نفس الوقت أرسل سعد بن أبي وقاص إلى حي من كنانة في رجب من السنة الثانية للهجرة ونص الحديث: قال سعد بن أبي وقاص: فبعثنا رسول الله ﷺ في رجب ولا نكون مائة وأمرنا أن نغير على حي من بنى كنانة إلى جنب جهينة فأغرنا عليهم وكانوا كثيرا فلجأنا إلى جهينة فمنعونا وقالوا لم تقاتلون في الشهر الحرام فقلنا إنما نقاتل من أخرجنا من البلد الحرام في الشهر الحرام فقال بعضنا لبعض ما ترون فقال بعضنا نأتي نبي الله ﷺ فنخبره وقال قوم لا بل نقيم ههنا وقلت أنا في أناس معي لا بل نأتي عير قريش فنقتطعها فانطلقنا إلى العير وكان الفيء إذ ذاك من أخذ شيئا فهو له فانطلقنا إلى العير وانطلق أصحابنا إلى النبي ﷺ فأخبروه الخبر فقام غضبانا محمر الوجه فقال أذهبتم من عندي جميعا وجئتم متفرقين إنما أهلك من كان قبلكم الفرقة لأبعثن عليكم رجلا ليس بخيركم أصبركم على الجوع والعطش فبعث علينا عبد الله بن جحش الأسدي فكان أول أمير أمر في الإسلام(٦٦).

فالمعروف من وجهة نظر فن الحرب أن الحرب في جبتهين من أصعب المواقف التي تواجه القيادة، فهي تنطوي على مشكلات بالغة الصعوبة والتعقيد وتتطلب كفاية إلى أقصى حد في الإدراة والتخطيط والقتال.

خامسا: استخدام التضليل والتورية في الكلام:

روى البخاري بسنده عن جابر بْنَ عَبْدِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَنْ لِكَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ فَإِنَّهُ قَدْ آذَى اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَامَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَتُحِبُّ أَنْ أَقْتُلَهُ قَالَ نَعَمْ قَالَ فَأْذَنْ لِي أَنْ أَقُولَ شَيْئًا قَالَ قُلْ فَأَتَاهُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فَقَالَ إِنَّ هَذَا الرَّجُلَ قَدْ سَأَلَنَا صَدَقَةً وَإِنَّهُ قَدْ عَنَّانَا وَإِنِّي قَدْ أَتَيْتُكَ أَسْتَسْلِفُكَ قَالَ وَأَيْضًا وَاللَّهِ لَتَمَلُّنَّهُ قَالَ إِنَّا قَدْ

(٦٥) ابن القيم، **زاد المعاد في هدي خير العباد** دط(٥/ ١٥٠)، المباركفوري: **الرحيق المختوم**دط(دج/١٥٤)، الصلابي: **السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث** دط (٢/ ٦٢).

(٦٦) أخرجه أحمد في **المسند**: مسند سعد بن ابي وقاص، سبل الهدى والرشاد، ١١٨/٣، رقم: ١٩٣٥.

اتَّبَعْنَاهُ فَلَا نُحِبُّ أَنْ نَدَعَهُ حَتَّى نَنْظُرَ إِلَى أَيِّ شَيْءٍ يَصِيرُ شَأْنُهُ وَقَدْ أَرَدْنَا أَنْ تُسْلِفَنَا وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ و حَدَّثَنَا عَمْرٌو غَيْرَ مَرَّةٍ فَلَمْ يَذْكُرْ وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ أَوْ فَقُلْتُ لَهُ فِيهِ وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ فَقَالَ أُرَى فِيهِ وَسْقًا أَوْ وَسْقَيْنِ فَقَالَ نَعَمِ ارْهَنُونِي قَالُوا أَيَّ شَيْءٍ تُرِيدُ قَالَ ارْهَنُونِي نِسَاءَكُمْ قَالُوا كَيْفَ نَرْهَنُكَ نِسَاءَنَا وَأَنْتَ أَجْمَلُ الْعَرَبِ قَالَ فَارْهَنُونِي أَبْنَاءَكُمْ قَالُوا كَيْفَ نَرْهَنُكَ أَبْنَاءَنَا فَيُسَبُّ أَحَدُهُمْ فَيُقَالُ رُهِنَ بِوَسْقٍ أَوْ وَسْقَيْنِ هَذَا عَارٌ عَلَيْنَا وَلَكِنَّا نَرْهَنُكَ اللَّأْمَةَ قَالَ سُفْيَانُ يَعْنِي السِّلَاحَ فَوَاعَدَهُ أَنْ يَأْتِيَهُ فَجَاءَهُ لَيْلًا وَمَعَهُ أَبُو نَائِلَةَ وَهُوَ أَخُو كَعْبٍ مِنْ الرَّضَاعَةِ فَدَعَاهُمْ إِلَى الْحِصْنِ فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ فَقَالَتْ لَهُ امْرَأَتُهُ أَيْنَ تَخْرُجُ هَذِهِ السَّاعَةَ فَقَالَ إِنَّمَا هُوَ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَأَخِي أَبُو نَائِلَةَ وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو قَالَتْ أَسْمَعُ صَوْتًا كَأَنَّهُ يَقْطُرُ مِنْهُ الدَّمُ قَالَ إِنَّمَا هُوَ أَخِي مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ وَرَضِيعِي أَبُو نَائِلَةَ إِنَّ الْكَرِيمَ لَوْ دُعِيَ إِلَى طَعْنَةٍ بِلَيْلٍ لَأَجَابَ قَالَ وَيُدْخِلُ مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ مَعَهُ رَجُلَيْنِ قِيلَ لِسُفْيَانَ سَمَّاهُمْ عَمْرٌو قَالَ سَمَّى بَعْضَهُمْ قَالَ عَمْرٌو جَاءَ مَعَهُ بِرَجُلَيْنِ وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو أَبُو عَبْسِ بْنُ جَبْرٍ وَالْحَارِثُ بْنُ أَوْسٍ وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ قَالَ عَمْرٌو جَاءَ مَعَهُ بِرَجُلَيْنِ فَقَالَ إِذَا مَا جَاءَ فَإِنِّي قَائِلٌ بِشَعَرِهِ فَأَشَمُّهُ فَإِذَا رَأَيْتُمُونِي اسْتَمْكَنْتُ مِنْ رَأْسِهِ فَدُونَكُمْ فَاضْرِبُوهُ وَقَالَ مَرَّةً ثُمَّ أُشِمُّكُمْ فَنَزَلَ إِلَيْهِمْ مُتَوَشِّحًا وَهُوَ يَنْفَحُ مِنْهُ رِيحُ الطِّيبِ فَقَالَ مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ رِيحًا أَيْ أَطْيَبَ وَقَالَ غَيْرُ عَمْرٍو قَالَ عِنْدِي أَعْطَرُ نِسَاءِ الْعَرَبِ وَأَكْمَلُ الْعَرَبِ قَالَ عَمْرٌو فَقَالَ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أَشُمَّ رَأْسَكَ قَالَ نَعَمْ فَشَمَّهُ ثُمَّ أَشَمَّ أَصْحَابَهُ ثُمَّ قَالَ أَتَأْذَنُ لِي قَالَ نَعَمْ فَلَمَّا اسْتَمْكَنَ مِنْهُ قَالَ دُونَكُمْ فَقَتَلُوهُ ثُمَّ أَتَوْا النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرُوهُ(٦٧). فالأمر بقتل عدو الله، كعب بن الأشرف، فيه دلالة واضحة على أن هذا الطاغوت، كان قد شكل خطراً كبيراً على أمن وحياة قائد الدعوة، عليه الصلاة والسلام، من خلال تأليبه، تحريضه، ودعمه المعنوي والمادي، للقبائل العربية ضد النبي ﷺ.

والجدير ذكره هنا، أن محمد بن مسلمة ﷺ حينما انتدب نفسه لتنفيذ المهمة، وضع القيادة في صورة مخطط التنفيذ للحصول على المصادقة والمباركة النبوية لإجراءات التنفيذ، فهو الشخص الوحيد القادر على اصطياد الهدف بهذا المخطط، فتجلت حكمة القيادة بمباركة المخطط والدعاء له. أما المخطط الذي نفذه، الصحابي محمد بن مسلمة ﷺكان دقيقاً محكماً، مناسباً لنوع المهمة، فقد انتحل شخصية عدائية للنبيﷺ ، استطاع من خلالها التمويه والتضليل على عدو الله، كعب بن الأشرف، ليسلم رأسه بكل يسر وسهوله، لسيف محمد بن مسلمة ﷺ لينهي هذا القائد العظيم، حياة طاغية من طواغيت يهود، حرضت وآذت ودعمت حرب النبيﷺ . وقال ابن حجر:" قوله فائذن لي أن أقول

(٦٧) أخرجه البخاري في **الصحيح**، كتاب المغازي، باب قَتْلِ كَعْبِ بْنِ الْأَشْرَفِ، ٤٨١/٤، رقم: ٣٨١١.

شيئا، قال: قل كأنه استأذنه أن يفتعل شيئا يحتال به، ومن ثم بوب عليه المصنف الكذب في الحرب" (٦٨). فالكذب والحيلة في الحرب هي من الخداع الجائز شرعاً ضد العدو.

المبحث الرابع

الإنجازات في المجال الدبلوماسي والعلاقات الخارجية

إن الإسلام ليس مجرد ديانة تقتصر على بيان حقوق وواجبات العباد تجاه الله سبحانه وتعالى وحقوقه تجاههم، وإنما بالإضافة إلى ذلك بين أسس وقواعد التعامل في المجتمع سواء على النطاق الداخلي أو في إطار المجتمع الدولي وفي مقدمة ذلك العلاقات الدبلوماسية لذلك يؤكد كثير ممن كتب عن الدبلوماسية في الإسلام أن النبي ﷺ سلك من ضروب السياسة ما يهيئ له أسباب النجاح، ولا يترك أموره تجرى كيف تشاء بل تخير لها السبل والأسباب حتى يصل إلى الغاية التي يقصدها من أقرب طريق كما أنه لا يترك نفسه للأحداث تصرفه وتأخذه قبل أن يأخذها.

ولذلك فإن منهج الدبلوماسية الإسلامية تعنى بذل الوسع في استخدام مختلف الكفاءات لمعالجة الأمور الطارئة بالوسائل السلمية استخداماً يهدف إلى نشر الدعوة في العالم شريطة أن يكون هذا الاستخدام في نطاق الأخلاق والمثل الإسلامية العليا وليس من خلال الأسلوب الغاشم والتخريب والإرهاب الذي يعود على صاحبه وأهله وأمته بالضرر.

إن المسلمين منذ عصر النبي نظموا علاقاتهم مع غيرهم من الأمم والشعوب والقبائل، سواء في حال السلم أم في حال الحرب تنظيمًا رائدًا راعى ما كان مألوفًا من قيم العلاقات الدولية والتي لا تتعارض مع مفاهيم الدين الجديد، مع إضافة بعض القيم التي كان يفتقدها عرف العلاقات الدولية الذي كان سائدًا آنذاك، فقد مارس المسلمون الدبلوماسية، بالمعنى والمضمون من خلال المفاوضات وإبرام المعاهدات وتبادل المصالح، وما اتسمت به هذه العلاقات من فن الفطنة والذكاء والكياسة.

ومن الضروري أن نعرف أنه من أهم الإنجازات التي أسهمت فيها الإدارة الإسلامية في العالم أجمع أنه لولا إدارة إسلامية قوية وحازمة لما استطاع أحد التقدم في المجالات الأخرى من فروع الحياة.

١-عبقرية مخاطبة الملوك:

إن المتتبع لمهمة القادة في عهد النبي ﷺ يجد أنها كانت تقوم ابتداء على نشر الدين الإسلامي، بحكمة وفطنة ولباقة، كل ذلك وفق المنهج القويم الذي رسمه الإسلام العظيم، لأن الهدف الأسمى للدبلوماسية عند المسلمين الدعوة إلى الإسلام وهو هدف نبيل يحتاج إلى وسيلة نبيلة كذلك وهذا انجاز عظيم، فالرسل والسفراء، والقادة يلقى على عاتقهم مزيدا من المسؤولية في تبليغ الدين بالوسائل المتاحة، ولا تعتبر خرقا لقواعد

(٦٨) ابن حجر: **فتح الباري** ط١ (٣٣٨/٧).

التمثيل السياسي وذلك من خلال شخصية السفير أولا فعلية أن يبرز القدرة من خلال تصرفاته ومنهجه في التعامل المستمدة من تعاليم الدين الحنيف ولو ضربنا لذلك مثلاً بخطاب جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي، ففي خطابه قَسّم جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه كلماته إلى مقاطع عدة، يحمل كل مقطع منها معنى معين، ويصل به إلى هدف خاص.

المقطع الأول: جعفر بن أبي طالب يقبح صور الجاهلية:

"أيها الملك، كنا قومًا أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، يأكل القوي منا الضعيف"(٦٩).

فقد بدأ جعفر بن أبي طالب ﷺ بتقبيح الحالة التي كانوا عليها قبل الإسلام، وتصوريها بصورة تأنف منها النفوس الكريمة، وتأباها العقول السليمة، ولنتخيل مثل هذه الصور من الظلم وهي تعرض على ملك عادل لا يُظلم عنده أحد، فكان تصدير جعفر بن أبي طالب بذكر مساوئ الجاهلية -ولا شك- قد ترك أثرًا عظيمًا في قلب النجاشي، بل في قلب أساقفته، فكان هذا المقطع من كلام جعفر ﷺ سهمًا قد أُطلق في مقتل لقريش ووفدها.

المقطع الثاني:

قال جعفر: "فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً نعرف نسبه، وصدقه وأمانته وعفافه".

وهنا يشير جعفر إلى أن الذي جاء بهذا الدين الجديد والمخالف لما هم عليه جميعًا ليس رجلاً أفَّاكًا كذّابًا يريد خداع الناس من أجل مصلحة ما، بل هو صادق أمين، وطاهر عفيف، ومن أعرق أنسابنا، وقد جاء بالحق الواضح.

المقطع الثالث: جعفر بن أبي طالب يمجد من صور الإسلام:

وهذا المقطع في غاية في الروعة، فبعد أن عرض لصورة الجاهلية الحقيقية، أخذ في عرض الصورة المقابلة لها وهي صورة الإسلام، التي جاء بها هذا الرجل الصادق الأمين ﷺ، فقال جعفر بن أبي طالب:

"فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنة، وأمرنا أن نعبد الله وحده لا نشرك به شيئًا، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام". تقول السيدة أم سلمة ﷺ وهي راوية القصة-: "فعدَّد عليه أمورَ الإسلام".

المقطع الرابع: جعفر بن أبي طالب يكيد من الكافرين:

---

(٦٩) السهيلي: **الروض الأنف**ط١(دج/ ٢)، والصنعاني: **سبل الهدى والرشاد، في سيرة خير العباد**، وذكر فضائله وأعلام نبوته وأفعاله وأحواله في المبدأ والمعاد دط (٢/ ٣٩٠).

وهو غاية في الذكاء والتوفيق، قال جعفر: "فصدقناه، وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئًا، وحرمنا ما حرم علينا، وأحللنا ما أحل لنا".

ثم أتبع ذلك فقال: "فعدَا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا، ليردونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث".

وهنا يبرز جعفر بن أبي طالب ﷺ لدور القبيح للكافرين، وكان منهم آنذاك عمرو بن العاص وعبد الله بن أبي ربيعة، ولا شك أن موقفهما أصبح ضعيفًا جدًّا، ولا ننسى هنا أن صور التعذيب والابتلاء تستهوي قلوب النصارى كثيرًا؛ فهي تذكرهم بالحواريين الذين عُذِّبوا من قبل، وبالذين كانوا يفتنونهم عن دينهم بأبشع الأساليب، بل تذكرهم بصورة المسيح عليه السلام.

وهكذا سيطر جعفر تمامًا على مشاعر النجاشي، بل وعلى مشاعر الأساقفة من حوله، وقد ختم ﷺ بيانه هذا بمقطع سياسي حكيم قال فيه: "فلما قهرونا وظلمونا وشقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلدك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا ألاَّ نظلم عندك أيها الملك".

وقد بدا عليه وكأنه بدأ يقتنع بكلامه ويهتم بأمر هذا الدين الجديد، سأله النجاشي قائلاً: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟

قال جعفر: نعم.

قال النجاشي: اقرأه عليَّ.

وفي الآيات التي سيقرؤها على النجاشي فكر جعفر، ثم هداه الله ﷺ إلى اختيار موفَّق، فبرغم كثرة السور التي نزلت في مكة، إلا أنه رضي الله عنه اختار صدر سورة مريم.

اختار السورة التي تتحدث عن عيسى وزكريا ويحيى -عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والتسليم- اختار السورة ذات السياق العذب اللطيف، تلك التي تجذب قلوب السامعين وتأخذ بألبابهم وأفئدتهم، فتنشرح صدورهم لما جاء من عند الرحمن الرحيم، فقرأ جعفر:

كٓهيعٓصٓ * ذِكۡرُ رَحۡمَتِ رَبِّكَ عَبۡدَهُۥ زَكَرِيَّآ * إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا * قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلۡعَظۡمُ مِنِّي وَٱشۡتَعَلَ ٱلرَّأۡسُ شَيۡبًا وَلَمۡ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا * وَإِنِّي خِفۡتُ ٱلۡمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِي وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا فَهَبۡ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيّٗا * يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنۡ ءَالِ يَعۡقُوبَۖ وَٱجۡعَلۡهُ رَبِّ رَضِيّٗا * يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ لَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ مِن قَبۡلُ سَمِيّٗا * قَالَ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَكَانَتِ ٱمۡرَأَتِي عَاقِرٗا وَقَدۡ بَلَغۡتُ مِنَ ٱلۡكِبَرِ عِتِيّٗا * قَالَ كَذَٰلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَقَدۡ خَلَقۡتُكَ مِن قَبۡلُ وَلَمۡ تَكُ شَيۡـٔٗا * قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا * فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا * يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا * وَحَنَانٗا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةٗۖ وَكَانَ تَقِيّٗا * وَبَرَّۢا بِوَٰلِدَيۡهِ وَلَمۡ يَكُن جَبَّارًا عَصِيّٗا * وَسَلَٰمٌ عَلَيۡهِ يَوۡمَ وُلِدَ وَيَوۡمَ يَمُوتُ

وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا * وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا * فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا * قَالَتْ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا * قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا * قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا * قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً لِّلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِّنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا * فَحَمَلَتْهُ فَٱنتَبَذَتْ بِهِۦ مَكَانًا قَصِيًّا [٧٠]

لم يتحمل النصارى أثر تلك الكلمات المعجزة، فما تمالكوا أن انهمرت دموعهم غزيرة فياضة، وبكى النجاشي حتى ابتلت لحيته، وبكى الأساقفة، ولم تقف هدايا عمرو حائلاً بين كلام الله عز وجل وبين قلوب السامعين، وهنا وبوضوح أخذ النجاشي القرار وقال:

"إن هذا والذي جاء به موسى (وفي رواية: عيسى) ليخرج من مشكاة واحدة". وإن هذا ليعد إقرارًا منه بصدق الرسالة، وصدق رسول الله ﷺ وصِدق جعفر ومن معه. ثم التفت إلى عمرو وعبد الله بن أبي ربيعة وقال لهما: "انطلقا، فوالله لا أسلمهم إليكم أبدًا".

وبهذا يكون الوفد الإسلامي قد نجح أعظم نجاح، ولم ينجح في إقناع عقل النجاشي وأساقفته فقط، بل تعدى ذلك حتى وصل إلى قلوبهم، وكانت هذه الجولة بكاملها في صفِّ المؤمنين، وهُزم سفيرا قريش هزيمة منكرة، وذلك في أول تجربة لقريش مع المؤمنين على أرض محايدة[٧١].

٢- سعة الحيلة:

يجب أن يكون القائد مدركا لأبعاد المناورة السياسية، متأنيا كتوما. وسعة الحيلة التي ترتكز أولا وقبل كل شيء على الذكاء من أهم سمات القائد، وقد كان قادة الرسول ﷺ يتصفون بالذكاء والدهاء، وتوقع الأحداث، والحساب لكل ما يمكن أن يحدث، وهذه مقومات سعة الحيلة.

ونضرب لذلك مثالاً بتفريق نعيم بن مسعود الداهية الأريب والدبلوماسي الناجح بين المشركين ويهود بني قريظة وذلك بزرع الفتنة بينهم، حيث طالبهم ألا يقاتل هؤلاء اليهود مع قريش إلا برهائن تسعين من رجالهم، وهم لم يعلموا بإسلام نعيم.

---

(٧٠) مريم: ١-٢٢.

(٧١) السرجاني، **خطاب جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي**.
https://islamstory.com/ar/artical/218/%D8%AE%D8%B7%D8%A7%D8%A8-%D8%AC%D8%B9%D9%81%D8%B1-%D8%A8%D9%86-%D8%A3%D8%A8%D9%8A-%D8%B7%D8%A7%D9%84%D8%A8-%D8%A3%D9%85%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%AC%D8%A7%D8%B4%D9%8A

فقد أتى إلى الرسول ﷺ فقال: يا رسول الله! إني أسلمت، وإن لي رأياً ومكيدةً في الحرب، فهل تأذن لي أن أشتت كلمة المشركين، وأن أقول في غيابك ما أقول؟ قال ﷺ: خذل عنا ما استطعت، أي خذل في صفوف المشركين في صالح الإسلام ما استطعت.

فذهب هذا الإسلامي الأريب الداهية إلى المشركين، فأتى كل قبيلة على حدة، ظاهره النصيحة، وباطنه يريد أن يفت في عضدهم ويشتت شملهم، فذهب إلى كفار قريش فقال: أما ترون أني أخوكم وأني ناصحٌ لكم؟ قالوا: لا نتهمك، قال: أرى أن اليهود سوف يقولون لكم إذا نزلتم في المدينة، لا نقاتل معكم حتى تعطونا أسرى من أشرافكم، وقصدهم أنهم يذبحونهم أو يقدمونهم لمحمد لأنهم اتفقوا مع محمد وقد لاموا أنفسهم على حربه وقالوا: إذا أتانا المشركون فسوف نأخذ من أعيانهم أناساً ونعطيك إياهم فداءً فاقتلهم وارض عنا، قالوا: أصبت ونصحت وأجدت، وهذا العهد بك.

ثم ذهب إلى غطفان وقال: يا غطفان! أنا أخوكم وصديقكم ولا تتهموني، قالوا: لا نتهمك أنت الناصح، قال: إن اليهود سوف يأخذون من أشرافكم أناساً ويطلبونكم أسرى؛ فلا تعطوهم أسارى فإنهم سوف يعطونهم محمداً يقتلهم لأنهم ندموا، قالوا: أجدت وذلك العهد بك.

ثم ذهب إلى اليهود وقال: يا بني قريظة! أنا صاحبكم وأخوكم، قالوا: صدقت لا نتهمك، قال: فإن قريشاً وغطفان سوف يقاتلون محمداً ثم يذهبون، ويتركون الدائرة عليكم فيقتلكم ويسبي ذراريكم، فأرى أن تأخذوا من أعيانهم أسارى، وتأخذوا من وجوههم أناساً، ليكونوا أسارى عندكم حتى يقاتلوا معكم إلى آخر المعركة، قالوا: ذاك الرأي ولا نتهمك.

فالتقوا جميعاً فبدأت اليهود تقول: أعطونا من أعيانكم، فقالت قريش: صدق نعيم بن مسعود يا أعداءنا! أو كما قالوا، وقامت غطفان وقالوا: نصحنا نعيم بن مسعود، فأخذوا يتحاثون بالتراب ويتسابون ففت الله في عضدهم.

قال عنه ابن عبد البر في (الاستيعاب): " وهو الذي خذَّل المشركين وبني قريظة حتى صرف الله المشركين بعد أن أرسل عليهم ريحاً وجنوداً لم يروها، خبره في تخذيل بني قريظة والمشركين في السير خبر عجيب، وقيل إنه الذي نزلت فيه: چ ئې ئې ئى ئى ئد ى ى ي ي ئج ئح ئم ئى ئي بج بح چ[٧٢]، يعني نُعيم بن مسعود وحده".

ولذلك المكيدة جائزة ضد أعداء الله عز وجل، والحرب خدعة، ولك أن تخدع أعداء الله عز وجل، أو كل كافرٍ ومنافق بما للإسلام صلاح، وأن هذا ليس من النفاق، ولا يعد من الذنوب وإنما يعد في الصالح العام.

---

(٧٢) آل عمران: ١٧٣.

٣- غزو سوق الخصم وتقليل موارده، والاكتفاء الذاتي الذي يمنع العدو من ضرب الحصار:

كشراء بئر رومة، عند الترمذي وصححه أنَّ رسول الله ﷺ حينما قدم المدينة، ولم يكن بها ماء يتعذب غير بئر رومة، رغب أصحابه ﷺ بقوله: "من يشتري بئر رومة فيجعل منها دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة "، فاشتراها عثمان بن عفّان ﷺ، وتصدق بها على السابلة، أي جعلها للمسلمين.

٤- صدق السريرة والثبات على المبدأ:

لا بد أن يتصف السفير بالأمانة حتي لا يخون مرسله، فبعض الملوك يحاولن إغراء السفير بالمال لينقاد إلي ما يريدون، وبعض السفراء يضعف أمام المغريات فيخون ويغدر، ولأنه مؤتمن علي أسرار بلاده فيكون الشر منه كبيراً.

لذا كان من أوكد واجبات الدبلوماسي أن يؤمن إيمانا صادقا بنظام الدولة التي يمثلها وينتمي إليها، ويعرض مبادئه وأفكاره وقيمه من خلال تعامله الكريم وخلقه الحسن، بعيدا عن العبث والفظاظة والغطرسة، لا تؤثر فيه المغريات ولا تزعزعه الأوهام والأراجيف، وقد وُصف جعفر بن أبي طالب سفير المسلمين إلى الحبشة بأنه أشبهُ الناس بالنبي ﷺ خَلْقا وخُلُقا، وكفى بهذا ثناء ومدحا.

وحينما راودت قريش عثمان مبعوث النبي ﷺ في الحديبية - في أن يعتمر ويطوف حول الكعبة وحده، دون المسلمين الذين جاء يفاوض عنهم أبى ذلك؛ ولاء لقيادته، وانسجاما مع حسن سريرته التي عرف بها، ووفاء لإيمانه وقيمه، ورفض التي المغريات التي عرضتها قريش عليه... (٧٣)

وهذا عبد الله بن حذافة السهمي أسيراً في أيدي الروم، فحملوه إلى مليكهم وقالوا: إن هذا من أصحاب محمد السابقين إلى دينه قد وقع أسيراً في أيدينا، فأتيناك به.

فنظر عظيم الروم إلى عبد الله بن حذافة طويلاً ثم بادره قائلاً: إني أعرض عليك أمراً!!. قال: وما هو؟. فقال: أعرض عليك أن تتنصر!.. فإن فعلت خليت سبيلك، وأكرمت مثواك. فقال الأسير في أنفة وحزم: هيهات.. إن الموت لأحبّ إلي ألف مرة مما تدعوني إليه. فقال قيصر: إني لأراك رجلا شهماً.. فإن أجبتني إلى ما أعرضه عليك أشركتك في أمري، وقاسمتك سلطاني. فتبسم الأسير المكبل بقيوده، وقال: والله لو أعطيتني جميع ما تملك، وجميع ما ملكته العرب على أن أرجع عن دين محمد طرفة عين ما فعلت!!.

قال: إذن أقتلك. قال: أنت وما تريد!. ثم أمر به فصُلب، وقال لقناصته -بالرومية- ارموه قريباً من يديه، وهو يعرض عليه التنصر فأبى. فقال: ارموه قريباً من رجليه، وهو يعرض عليه مفارقة دينه فأبى.

---

(٧٣) المباركفوري، **الرحيق المختوم** دط (دج/ ٣٠٢).

عند ذلك أمرهم أن يكفوا عنه، وطلب منهم أن ينزلوه عن خشبة الصلب، ثم دعا بقدر عظيمة فصُب فيها الزيت، ورفعت على النار حتى غلت، ثم دعا بأسيرين من أسارى المسلمين، فأمر بأحدهما أن يلقى فيها فألقي، فإذا لحمه يتفتت، وإذا عظامه تبدو عارية.. ثم التفت إلى عبد الله بن حذافة ودعاه إلى النصرانية، فكان أشدّ إباءً لها من قبل.

فلما يئس منه؛ أمر به أن يُلقى في القدر التي ألقي فيها صاحباه، فلما ذهب به دمعت عيناه، فقال رجال قيصر لملكهم: إنه قد بكى.. فظن أنه قد جزع، وقال: ردوه إليّ، فلما مثُل بين يديه عرض عليه النصرانية فأباها، فقال: ويحك، فما الذي أبكاك إذا؟!

فقال: أبكاني أني قلتُ في نفسي: تُلقى الآن في هذه القدر، فتذهب نفسك، وقد كنت أشتهي أن يكون لي بعدد ما في جسدي من شعر أنفس فتُلقى كلها في هذا القدر في سبيل الله. فقال الطاغية: هل لك أن تقبل رأسي وأخلي عنك؟. فقال له عبد الله: وعن جميع أسارى المسلمين أيضاً؟. قال: وعن جميع أسارى المسلمين أيضاً.

قال عبد الله: فقلت في نفسي: عدو من أعداء الله، أقبل رأسه فيخلي عني وعن أسارى المسلمين جميعاً، لا ضير في ذلك عليَّ. ثم دنا منه وقبّل رأسه، فأمر ملك الروم أن يجمعوا له أسارى المسلمين، وأن يدفعوهم إليه فدفعوا له. (٧٤)

إنه موقف عظيم يدل على مدى ثبات هذا الصحابي البطل واعتزازه بدينه وترفعه عن كل ما ينقضه أو يخدش فيه.

الخاتمة

وفي خاتمة هذا البحث أشير إلى أهم النتائج، والتوصيات، وهي كالتالي:

- أهم النتائج:

١- أن الهدف من وراء الطعن في الصحابة هو الطعن في الدين.

٢- أن الانتشار السريع للدعوة الإسلامية، دليل على صحتها وصدقها، وربَّانيتها، وأنها من لدن حكيم خبير.

٣- أن سياسة الاختيار متى ما كانت سليمة، كانت العاقبة أفضل، والنتائج أحسن.

٤- أن للمساجد دور إيجابي وأهداف سامية تخدم المجتمع الإسلامي ككل؛ دينية وتربوية ومجتمعية، فهو المنارة التي تشع في أرجاء دولة الإسلام.

٥- أن للنصر أسباب، منها: التوكل على الله حق توكله، مراقبة تحركات العدو العسكرية، وإتقان كل أشكال العمليات الحربية، ومواجهة كل أشكال التنظيم الحربي، والقدرة على الحرب في جبهتين، واستخدام التضليل والتورية في الكلام.

٦- أن مخاطبة الملوك والقادة الآخرين تتطلب حنكة وحكمة وفطنة وسعة حيلة، فلكل مقامٍ مقال، ولكل حادثٍ حديث.

---

(٧٤) الباشا، **صور من حياة الصحابة** دط(١/٤٠).

٧- غزو سوق الخصم وتقليل موارده، والاكتفاء الذاتي يمنع العدو من ضرب الحصار.

- أهم التوصيات:

١- يجب العمل على دراسة سير الصحابة، والاستفادة منها في تكوين الدعاة، فتكوين الدعاة يعني تكوين الأمة.

٢- الدعوة إلى الله يجب أن تكون بالحكمة والموعظة الحسنة، ولابد للداعية من المشاركة الاجتماعية في المجتمع.

٣- لابد من رسم الخطة للدعاة، لحاجة الدعوة إلى دعاة أكفاء قادرين على القيام بالواجب المنوط بهم، ويجب تنبيه الداعي إلى أحوال المدعوين للاستعداد لهم.

٤- لابد من قيام المسجد بدوره الكامل، لا يقتصر دوره فقط على العبادات، بل لابد أن يستغله المسلمون في كافة المجالات؛ الدينية والتربوية والاجتماعية.

فهرس المصادر والمراجع:

- ابن الأثير، أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني، **الكامل في التاريخ**، ط١ (بيروت - لبنان. دار الكتاب العربي، ١٤١٧هـ / ١٩٩٧م).
- ابن الأثير، على بن محمد، **أسد الغابة في معرفة الصحابة**. ط١(القاهره. دار الشعب. دم. دت).
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن، **صفة الصفوة**، د.ط (مصر. القاهرة. دار الحديث، القاهرة، مصر، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م).
- ابن الجوزي، عبدالرحمن بن علي بن محمد **المنتظم في التاريخ.** ط٢ (دم. دار البيان ١٤١٥ه. ١٩٩٥م).
- ابن حبان، محمد **السيرة النبوية**، دط(د. م، دار النشر، د. ت).
- ابن حجر أحمد بن على العسقلانى. **الإصابة فى تمييز الصحابة**. ط١ (بيروت. دار الجيل. دت).
- ابن حجر أحمد على العسقلاني، **فتح الباري بشرح صحيح البخاري**، دط (بيروت. دار الكتب العلمية. دت).
- ابن حنبل، أحمد، **المسند**، ط١، (بيروت، مؤسسة الرسالة. د. ت).
- ابن سعد، محمد بن سعد بن منيع الهاشمي البصري، **الطبقات الكبرى**، ط١ (بيروت. دار الجيل.. دت).
- ابن سيد الناس، ابوالفتح محمد بن محمد بن محمد اليعمري **عيون الأثر** - ط١ (بيروت. دار الكتاب العربي. ١٤١٤ ه/١٩٩٣م).
- ابن شبة، عمر بن عبيدة البصري، **تاريخ المدينة**، دط (بيروت. دار الفكر) دت.
- ابن عبد البر، يوسف بن عبدالله **الاستيعاب**، ط١(القاهرة، مكتبة الكليات الأزهرية، ١٣٩٧ه).
- ابن عساكر، ابي القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبالله الشافعي **تاريخ مدينة دمشق**، ط١(دمشق. مؤسسة الرسالة. ١٩٩٤م)
- ابن قيم الجوزية، مُحَمَّد بن أبي بكر، **زاد المعاد في هدي خير العباد**، ط ٢٧، (بيروت. مؤسسة الرسالة، الكويت. مكتبة المنار الإسلامية، ١٤١٥هـ /١٩٩٤م).
- ابن كثير، عماد الدين ابي الفداء اسماعيل **البداية والنهاية**، دط (بيروت مكتبة المعارف. دت)
- ابن كثير، عماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن كثير الدمشقي، **السيرة النبوية**، ط٢ (بيروت. دار إحياء التراث العربي. دت).
- ابن منصور، سعيد، **السنن، كتاب التفسير الأمة** وتحقيق سعد بن عبدالله آل حميد، ط١(الرياض، دار الصميعي للنشر ١٤١٧هـ).

- ابن هشام، عبد الملك بن هشام الحميري، **السيرة النبوية**، ط٢ (مصر. شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٥ م).
- أبو بكر، عبد الله، جامع الجند .. بناه معاذ بن جبل بأمر من النبي، مركز الخليج للدراسات، ملاحق الخليج، ملحق الصائم، (صنعاء، اليمن، ٤/ ٩/ ٢٠٠٩م).
http://www.alkhaleej.ae/supplements/page/cb4e4d73-d71a-4a64-8c78-78f591d25dd1
- أبو شهبة محمد، **السيرة النبوية على ضوء القرآن والسنة**، ط٨(دمشق. دار القلم – ١٤٢٧هـ).
- الأنصاري، ابو الحارث **إرشاد السؤول إلى حروب الرسول**. ط١، (دم. دار الجبهة للنشر والتوزيع، صفر ١٤٢٩ه - فبراير ٢٠٠٨ م).
- الباشا، عبد الرحمن رأفت، **صور من حياة الصحابة**، ط١ (بيروت - لبنان. دار النفائس، ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م).
- البلاذري، احمد بن يحي بن جابر **انساب الأشراف**، ط١(القاهره. مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الحلبى. دت).
- الخصاف، أحمد بن عمرو الشيباني أبو بكر، **أحكام الأوقاف**، دط، (مصر. مطبعة الأميرية ببولاق، ١٣٢٢هـ)
- الديار بكري، حسين بن محمد، **تاريخ الخميس في أحوال أنفس النفيس**، دط(بيروت، دار صادر، دت).
- الذهبي محمد بن أحمد، **سير أعلام النبلاء.** ط٢ (دمشق. مؤسسة الرسالة. دت).
- الراشد، محمد أحمد، **المنطلق** ط٣(بيروت مؤسسة الرسالة، سنة ١٩٧٦م).
- السبكي، عبد الوهاب **طبقات الشافعية الكبرى**. دط (القاهره. مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبى. دت).
- السرجاني، راغب، **خطاب جعفر بن أبي طالب أمام النجاشي**.
https://islamstory.com/ar/artical/218/%D8%AE%D8%B7%D8%A7%D8%A8-%D8%AC%D8%B9%D9%81%D8%B1-%D8%A8%D9%86-%D8%A3%D8%A8%D9%8A-%D8%B7%D8%A7%D9%84%D8%A8-%D8%A3%D9%85%D8%A7%D9%85-%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%AC%D8%A7%D8%B4%D9%8A
- **السمعاني، عبد الكريم بن محمد بن منصور، الأنساب**، دط (حيدر آباد. مجلس دائرة المعارف العثمانية، ١٣٨٢ هـ - ١٩٦٢ م).
- السهيلي، عبد الرحمن السهيلي **الروض الأنف في شرح سيرة ابن هشام**، ط١(مصر. دار الكتب الحديثة. دت).
- الشوكاني، محمد بن علي. **نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار من حديث سيد الأبرار**، ط١**(القاهره.** دار الحديث. ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م).

- الشيرازي، ابو إسحاق ابراهيم بن علي **طبقات الفقهاء**، ط١، (بيروت: دار القلم. دت).
- الصالحي، محمد بن يوسف الشامي، **سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد**، ط٢ (دمشق. مؤسسة الرسالة. دت).
- الصلابي، علي محمد، **السيرة النبوية عرض وقائع وتحليل أحداث** دط(بيروت، دار المعرفه، ٢٠٠٨).
- الطبري، محمد بن جرير **تاريخ الأمم والملوك**، دط (بيروت. دار الكتب العلمية. دت)
- العباد، عبد المحسن بن حمد، **شرح سنن أبي داود**، محاضرات صوتية، مصدر الكتاب: دروس صوتية قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.
http://books.islam-db.com/book/%D8%B4%D8%B1%D8%AD_%D8%B3%D9%86%D9%86_%D8%A7%D8%A8%D9%8A_%D8%AF%D8%A7%D9%88%D8%AF_%D9%84%D9%84%D8%B9%D8%A8%D8%A7%D8%AF/5501.
- العباسي، أحمد بن عبد الحميد، **عمدة الأخبار في مدينة المختار**، ط٥ (المدينة المنورة. المكتبة العِلميَّة) دت.
- الغزالي، محمد، **مع الله دارسات في الدعوى والدعاة**، ط٤. (مصر. دار الكتب الحديثة. ١٩٧٦م).
- الغزالي، محمد، **نظرة الإسلام إلى المال**، خطبة، ١٤٣٣هـ.
- القرضاوي، يوسف، **الوقف الخيري وأثره في تاريخ المسلمين** ط ٢(القاهره. دار الشروق. دت).
- الكاندهلوى، محمد يوسف **حياة الصحابة**، دط (بيروت. دار الكتاب العربي. دت).
- الكتاني، مُحَمَّد عبد الحي بن عبد الكبير، **التراتيب الإدارية والعمالات والصناعات والمتاجر والحالة العلمية التي كانت على عهد تأسيس المدنية الإسلامية في المدينة المنورة العلمية**، ط٢ (بيروت. دار الأرقم) دت.
- المباركفوري، صفي الرحمن، **الرحيق المختوم**، ط١ (بيروت. دار الهلال) د.ت.
- المقدسي. عبدالله بن أحمد بن محمد، **المغني**، دط(مصر، مكتبة القاهرة، د. ت).
- الواقدي، **مغازي الواقدي**، ط٣، (بيروت، دار الأعلمي. د. ت).
- جحا، فريد **المسجد في الحضارة العربية**، (دم المجلة العربية العدد ٢ السنة الثالثة ١٣٩٩هـ ١٩٧٩).
- الخولي، البهي، **تذكرة الدعاة**، ط١ (مصر. دار الكتاب العربي. ١٩٤٠).
- علام، نعمت إسماعيل، **فنون الشرق الأوسط في العصور الإسلامية**، دط (مصر: دار المعارف، ١١١٩هـ).
- محفوظ، الواء محمد جمال الدين **المدخل إلى العقيدة والاستراتيجية العسكرية الإسلامية**، دط (القاهره. الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٦م).

- مسلم، مسلم بن الحجاج **في الصحيح**، د. ط(المغرب، دار النشر، د. ت).
- يكن، أ/فتحي، **الاستيعاب في حياة الدعوة والداعية**، ط٦. (دمشق. مؤسسة الرسالة، سنة ١٩٨٥م).